

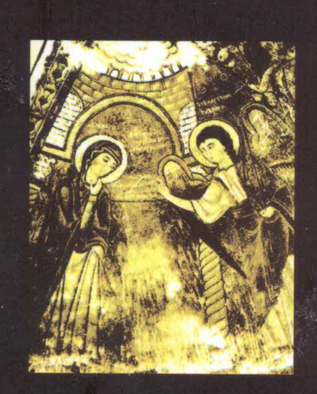


بالتعاون مع برنامج الدراسات القبطية بمكتبة الإسكندرية

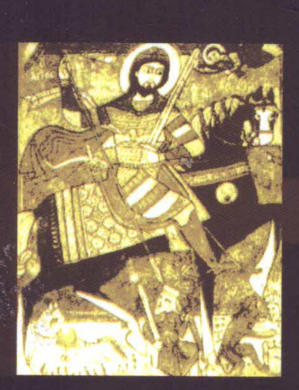
دورة الزمالة
للدراسات والفنون القبطية

يناير - مارس ٢٠١٣

إعداد/ ماجد الراهب













دورة الزمالة

للدراسات والفنون القبطية

يناير - مارس ٢٠١٣

إعداد/ ماجد الراهب

دورة الزمالة للدراسات والفنون القبطية

يناير-مارس 2013

المجلس الأعلى للثقافة

الراهب، ماجد.

دورة الزمالة للدراسات والفنون القبطية: يناير ـ مارس ٢٠١٢/ إعداد: ماجد الراهب. ـ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة: جمعية المحافظة على التراث المصرى: بالتعاون مع برنامج الدراسات القبطية لمكتبة الإسكندرية، ٢٠١٣.

١٩٦ص؛ ٢٤ سم.

تدمك ٦ ٣٤٠ ٧١٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الفن المسيحى.

أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩٢١/ ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 718 -340 - 6

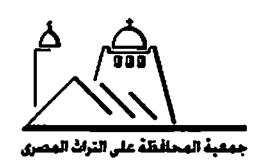
ديوى ٧٠٩,٠٢

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت : ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٢٧٣٥٨٠٨٤

El. Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel: 27352396 Fax: 27358084

www.scc.gov.eg





بالتعاون مع برنامج الدراسات القبطية بمكتبة الإسكندرية

دورة الزمالة

للدراسات والفنون القبطية

يناير-مارس 2013

إعداد

ماجد الراهب

المحتويات

رحلة العائلة المقدسة

المصادر التاريخية والمواقع الأثرية..

ماجد الراهب

«من مصر دعوت ابني». (هوشع 11:1).

«مبارك شعبي مصر». (أشعياء 19: 25).

حظيت رحلة العائلة المقدسة باهتمام الكثيرين، سواء من الداخل أو الخارج، ونظرا لطول المدة التي قاربت على أربع سنوات وتعدد الأماكن التي زارتها العائلة المقدسة في عموم مصر إلى تصدى كثير من مؤسسات الدولة مثل وزارة السياحة ووزارة الآثار للاهتمام بهذه الأماكن وتنميتها بيئيًا وأثريًا وسياحيًا.

وسوف نتناول في بحثنا هذا المصادر التاريخية التي أرخت لهذا الحدث وبعض المواقع الأثرية التي ترصد هذه الزيارة.

المصادر التاريخية

- **أناجيل طفولة المخلص (أبو كريفا).**

تعددت الكتب التي تناولت طفولة يسوع المسيح باسم «إنجيل طفولة المخلص» منذ القرون الأولى للمسيحية ونسبت إلى لوقا متى ويعقوب وتوما ودونت باليونانية والسريانية والعربية واختلفت في ذكر البلاد التي حلت بها العائلة المقدسة في مصر وحتى الأعمال الإعجازية التي أجراها يسوع الطفل في أثناء إقامته في أرض مصر وإسرائيل، وإن اتفقت في بعض منها. ويذكر العالم قسطنطين تشندورف CONSTANTINUS DE TISCHENDORF أنه طالعها جميعها وعلق عليها، كما يذكر أن أقدم نسخة محفوظة كتبت بالعربية ويرجع تاريخها إلى عام 1299، وهي محفوظة لدى عائلة مديتشى MEDICI في فلورنسا بعنوان «إنجيل طفولة المخلص»، كما أن هناك نسخة أخرى بالعربية محفوظة في مكتبة جوليويس JOLIUS ترجمها إلى اللاتينية العالم هنري سيكي HNRI SIKE في هولندا عام 1697م.

وهناك نسخة في أواخر القرن الأول الميلادي باليونانية وبقيت أجزاء منه حتى عام 2000م. وقال إن «المصريين يوُلون هذا الكتاب اعتبارًا كثيرًا نظرًا لذكرى حلول العائلة المقدسة بالمطرية وشجرة الجميز وبئر الماء ونبات البلسان».

- **ميمر البابا ثينوفيلس (23) من باباوات الإسكندرية (384 – 412 م).**

البابا ثينوفيلس البطريرك (23) في أوائل القرن الخامس الميلادى 384 - 412م في أثناء زيارته للصعيد قام بزيارة للدير المحرق في نحو أوائل القرن الخامس الميلادى، وحسب رؤية رآها هناك ظهرت له فيها السيدة العذراء وأخبرته فيها عن رحلة العائلة المقدسة إلى مصر إلى أن وصلت إلى موضع الدير المحرق مرورًا على مدينة الأشمونين.

- **المؤرخ بلاديوس أسقف هيلينوبوليس القرن الرابع**

بلاديوس (فى أوائل القرن الخامس الميلادى). زار بلاديوس مصر في أواخر القرن الرابع الميلادي وفي صدد حديثه عن الأنبا أبولون شهد بزياة العائلة المقدسة للأشمونين كحادثة معروفة له وقت زيارته في أواخر القرن الرابع الميلادي. وقال: «قد رأينا قسيسًا آخر اسمه أبولو عاش في إقليم الصعيد في منطقة الأشمونين، حيث جاء المخلص مع القديسة مريم ويوسف إتمامًا لنبوة أشعياء». (19: 1) الذي قال: «هو ذا الرب يركب على سحابة سريعة ويدخل مصر فتتزلزل أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر في داخلها».

- **المؤرخ سوزومينوس القرن الخامس (439 م)**

في كتابه «تاريخ الكنيسة» ذكر موضوع مجيء العائلة المقدسة إلى مصر وتحدث عن شجرة بيرسيا (شجرة اللبخ) بمدينة الأشمونين.

- **الأنبا زخارياس أسقف سخا (693 – 723 م)**

كان من أولاد البابا سيمون البطريرك (42) 692 – 700 م ومن رهبان دير أنبا يحنس القصير، وأول من رسمهم أسقفًا وفي سيرته التي جاءت في السنكسار عن نياحته في 21 أمشير جاء عنه أنه أقام على كرسي الأسقفية بسخا مدة ثلاثين عامًا، أي بين عامي 693 – 723م وكتب ميمر مجيء العائلة المقدسة إلى أرض مصر، وهو الذي يقرأ في 24 بشنس وأقدم نسخة منه باللغة العربية موجودة برقم 123 مسلسل النسخ 2 برمودة 1099 ش (28 مارس 1383م).

- **موهوب بن منصور بن مفرج الإسكندراني (عام 1088م)**

المؤرخ الكنسي موهوب بن منصور بن مفرج الإسكندراني الشماس، هو أحد كتبة ومكملي كتاب «سر البيعة المقدسة» والمعروف حاليا باسم «تاريخ البطاركة» والذي بدأه ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين. وفي تكملة الكتاب كتب موهوب سيرة البابا كيرلس الثاني البطريرك 67، وذلك في برمهات سنة 804 ش (مارس 1088م) وفي خاتمة هذه السيرة ذكر لنا هذا المؤرخ كشفا بالمزارات وآثارها للعائلة المقدسة التي زارها ورآها في أيامه، فقال عنها: «وأنا أذكر ما رأيته وتباركت منه، وأثارات سيدنا المسيح ووالدته السيدة مريم العذراء منها كنيسة المعروفة بالمعلقة وبالدرج بمصر ببني وايل (ببابليون الدرج) وفي بسطا (قرب الزقازيق بالشرقية) ومنية طانة، وسمونيه، وجبل الكهف (جبل الطير شرق سمالوط) ودير بيسوس والأشمونين، وفيلس، وقوص قام (الدير المحرق) هذا ما تباركت به أنا الخاطئ منهم واضع هذه السيرة وشاهدته سوى ما لم أره مما يطول شرحه وذكره».

- **أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود (في عام 1209م)**

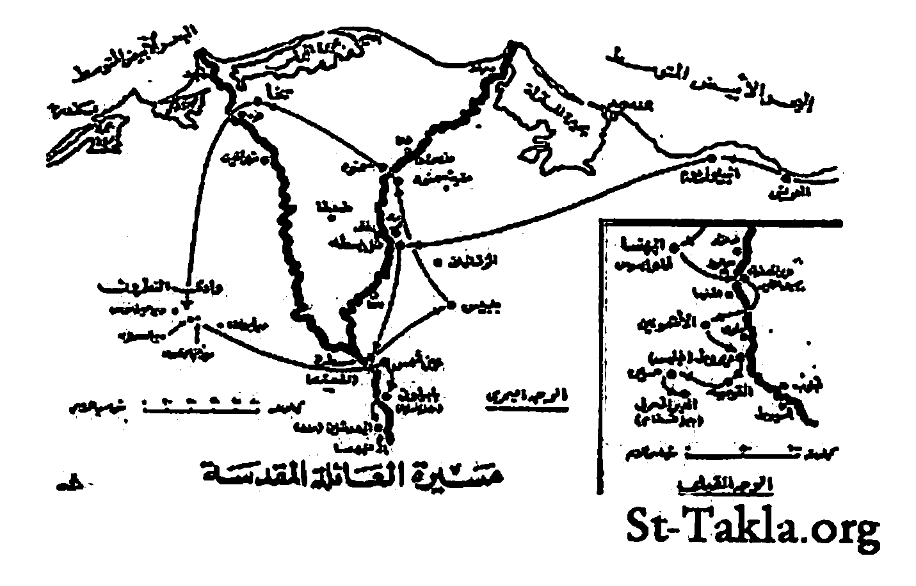
عاش هذا المؤرخ الكنسي في النصف الثانى من القرن الثانى عشر وإلى نحو العقد الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، وله كتاب مهم عن (الكنائس والأديرة نسب خطأ للشيخ أبي صالح الأرمني). وكان تأليفه في نحو عام 925 ش (1209م). وكتب فيه في الجزء الذي يتناول الصعيد عن مدينة الأشمونين ومجيء العائلة المقدسة إليها.

- **تقي الدين المقريزي القرن الخامس عشر**

ذكر المقريزي دير العذراء بكروفة بأسيوط (دير الجنادلة) في كتابه «القول الإبريزي» وهو آخر محطة وكانت في أثناء طريق العودة.

- **إنجيل الصبوة (أبو كريفا)**

«إنجيل الصبوة» أو الطفولة ليسوع المسيح يرجع تاريخه للقرن الثامن عشر الميلادي للناسخ رزق الله (ورقة 14 ظ).



المحطة الأولى مدينة الفرما

الفَرَما تعني بيت آمون بالقبطية إحدى المدن الثلاث لمنطقة بورسعيد القديمة طبقًا للحدود الإدارية لها، حيث توجد مدينة الطينة شرقًا، وكذلك مدينة تنيس، وكانت الفرما تسمى «بيلوز» ووصل عدد سكانها إلى مائة ألف نسمة، وقد ذكرت في التوراة باسم «سين» ومعناها قوة مصر، وهي أعظم مدن هذه المنطقة خلال فترة حكم الأسر في العصر الفرعوني، وتؤكد البرديات الفرعونية على أن (ست) قد قتل أخاه أوزوريس في هذه المنطقة. وعرفت الفرما في العصر المسيحي باسم (برما أو برمون) وفي العصر العربي الإسلامي أصبح اسمها الفرما ومكانها اليوم تل الفرما بعد بورسعيد بعدة كيلو مترات.

تل الكنائس

وقد ذكرت الفرما في الكتاب المقدس باسم «سين» ورد ذكرها في حزقيال (30: 15، 16) لذا أطلق عليها اليونانيون اسم بيلوسيون (بيلوزيوم). وقد جرت عندها مواقع حربية كثيرة لذلك يسميها حزقيال «حصن مصر».

وكانت الفرما إيبارشية من أقدم إيبارشيات الكرازة المرقسية تحتوي على عدد كبير من الأديرة والكنائس. ويرجع ذلك بالطبع لأنها كانت أول محطة لدخول العائلة المقدسة مصر.

ومن أشهرها «دير تل الهر». ويقع هذا الدير في سهل الطينة عند الطرف الشمالي لقناة السويس من الجهة الشرقية وبين تل الفرما. وقد ترهب في هذا الدير الناسك القديس العالم إيسيذورس الفرمي وقد صار رئيسًا لهذا الدير.

ولد عام 650 وترهب ببرية شيهيت وهو في الثامنة عشرة من عمره باسم

الراهب أبيماخوس وتتلمذ على القديس يوأنس قمص شيهيت لمدة خمس سنوات، ورسم كاهنًا بدير القديس العظيم مكاريوس الكبير.

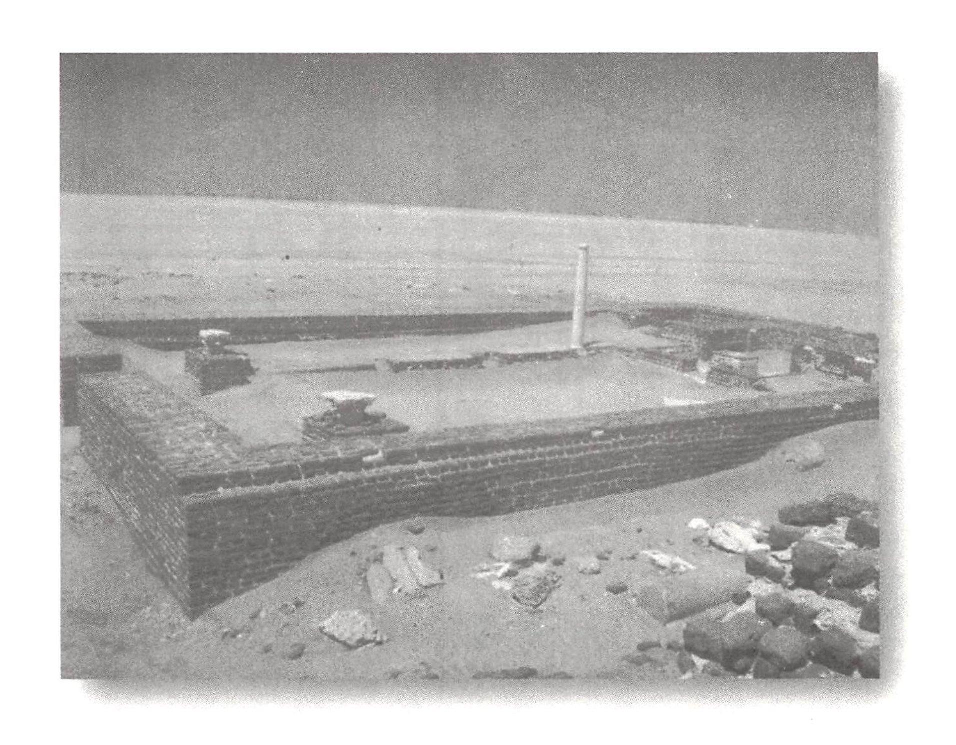
وقد انتقل من برية شيهيت إلى دير السيدة العذراء بمدينة «تنيس بجزيرة بحيرة المنزلة تبعد نحو تسع أميال جنوب غربي بورسعيد». ورسم قمصًا ثم اختير أسقفًا على الفرما في أيام الأنبا ميخائيل الأول البابا السادس والأربعين (744 - 768م).

وقد تنيح هذا الأسقف بعد أن عاش أكثر من مائة عام نحو عام 750م، وتشير المراجع أن هذا الدير ظل عامرا حتى عام 1118م.

وتل الكنائس ضم أطلالاً لأربع كنائس منها اثنتان في الشرق وواحدة في الغرب وواحدة في الجنوب، كما تضم المنطقة محمة السيد المسيح (من أهم المحمات التي حمت فيها السيدة العذراء السيد المسيح، تليها محمة مسطرد)، وفيها اغتسل الطفل يسوع.

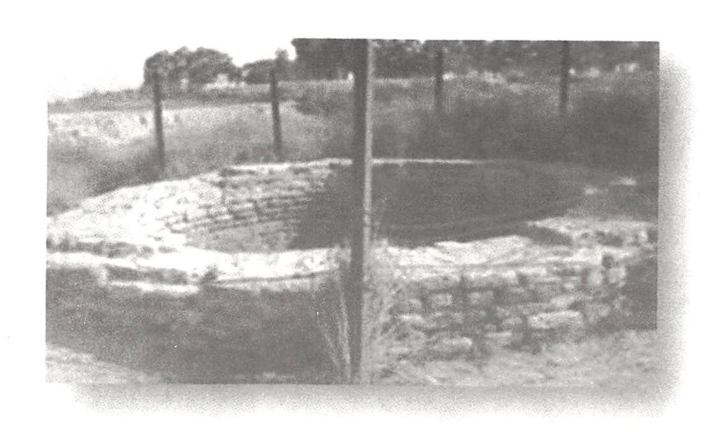






المحطة الثانية منطقة «تل بسطا».

دخلت العائلة المقدسة مدينة تل بسطا (بسطة) بالقرب من مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية، وتبعد عن مدينة القاهرة بنحو 100 كم من الشمال الشرقي، وفيها أنبع السيد المسيح عين ماء. وكانت المدينة مليئة بالأوثان وعند دخول العائلة المقدسة المدينة سقطت الأوثان على الأرض فأساء أهلها معاملة العائلة المقدسة فتركت العائلة المقدسة تلك المدينة وتوجهت نحو الجنوب.



عين الماء

المحطة الثالثة: سمنود وسخا

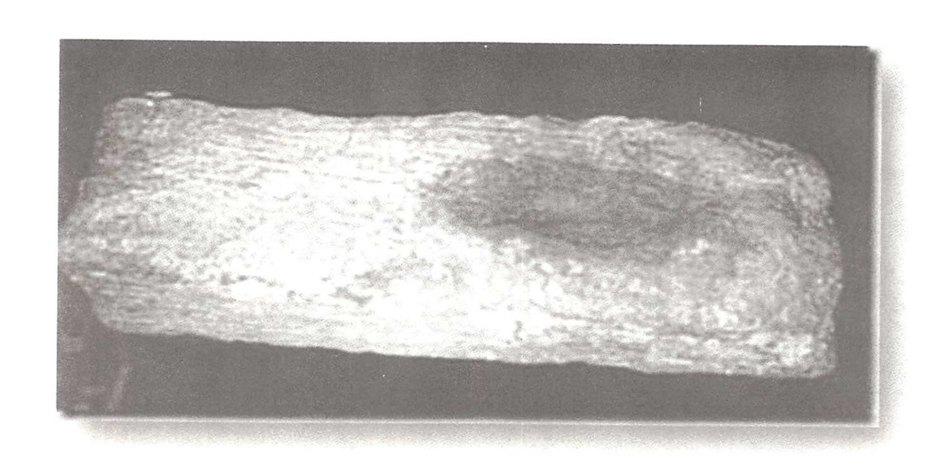
ومن تل بسطا رحلت العائلة المقدسة شمالاً بغرب إلى بلدة منية سمنود، وعبرت العائلة المقدسة نهر النيل إلى مدينة سمنود (جمنوتي - ذبة نثر)، داخل الدلتا، واستقبلهم شعبها استقبالاً حسنًا، فباركهم السيد المسيح. يذكر أن تلك البلدة يوجد بها ماجور كبير من حجر الجرانيت، يقال إن السيدة العذراء عجنت به في أثناء وجودها هناك. وتوجد أيضا بئر ماء باركها الطفل المسيح بنفسه.



بنيت الكنيسة في نفس المنطقة التي أقامت فيها العائلة المقدسة، وكان بجوار الكنيسة مغطس على النظام الروماني وأنشيء بعد ذلك دير سمي دير المغطس، وظل عامرًا بالرهبان لنهاية القرن الثاني عشر.

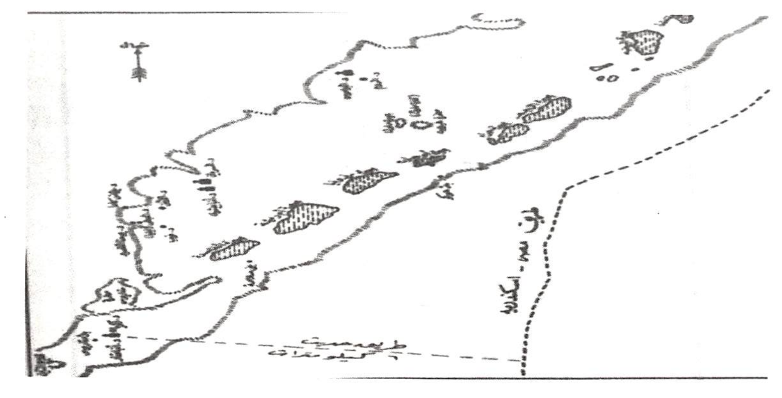
ويقول المؤرخ المصري المقريزي في القرن الخامس عشر، إن دير المغطس كان يحج إليه المسيحيون من سائر الأنحاء في يوم 24 بشنس، كما يحجون إلى كنيسة القيامة في القدس.

وقد هدم هذا الدير في القرن الخامس عشر، وتقلصت أهمية المكان بعد ذلك.

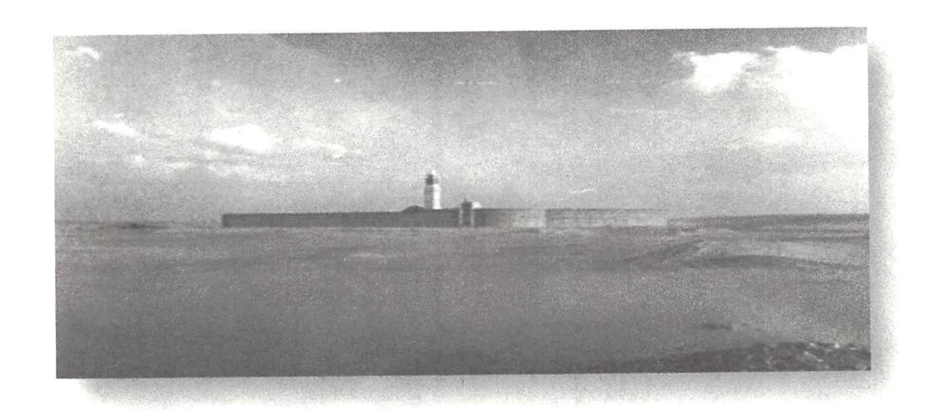


حجر قدم يسوع (بيخا إيسوس).

المحطة الرابعة: وادي النطرون



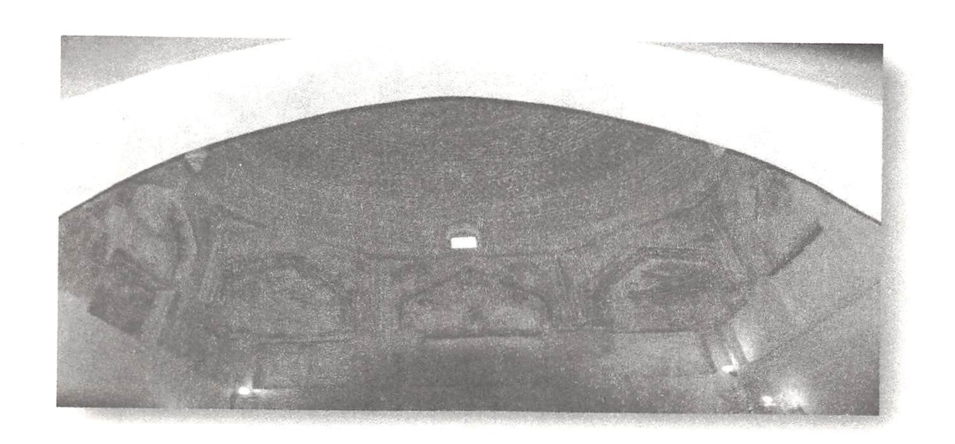
وادي النطرون - ميزان القلوب - برية شهيت - الأسقيط - إسكيتيس



دير الأنبا مقار (دير أبو مقار).

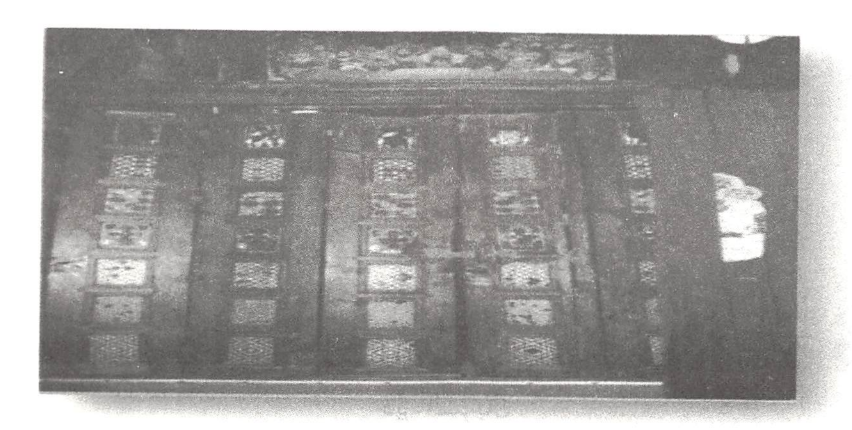


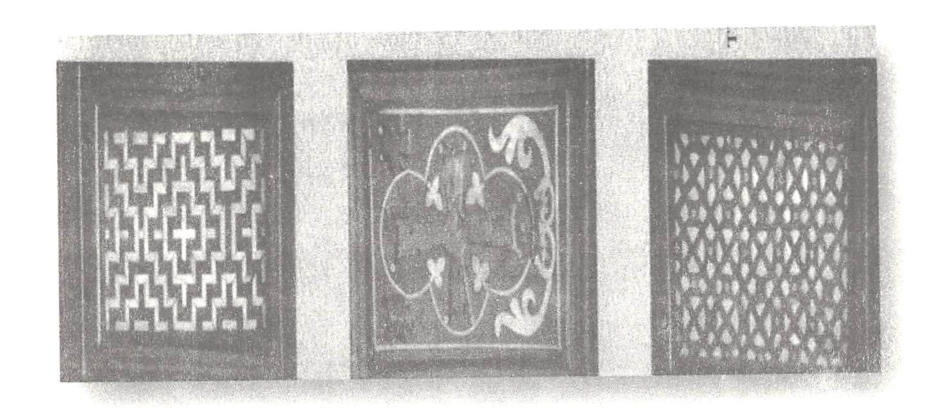
الحصن



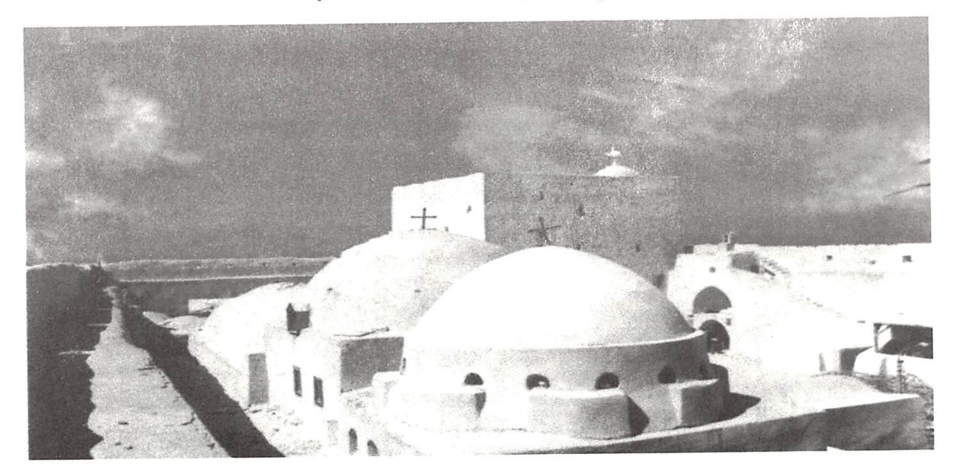
الكنيسة الأثرية

دير الأنبا بيشوي

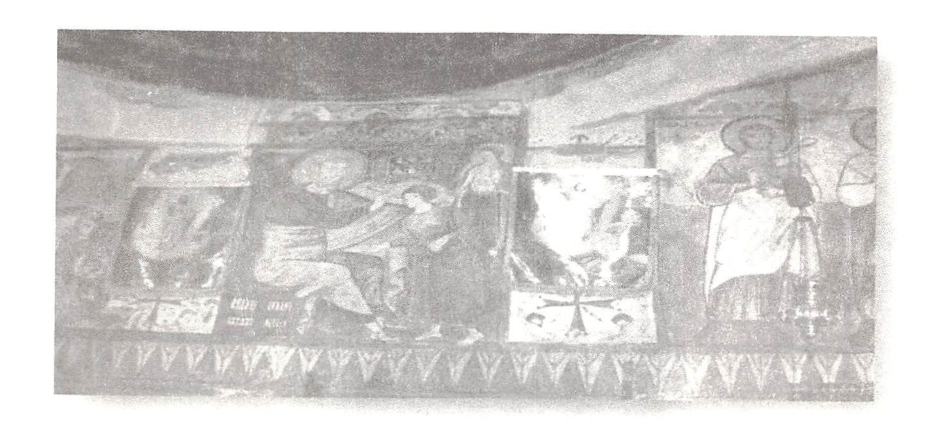




حامل الأيقونات بالكنيسة الأثرية

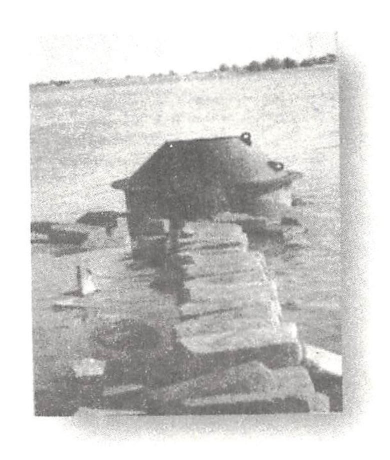


دير السريان



جداريات الكنيسة الأثرية



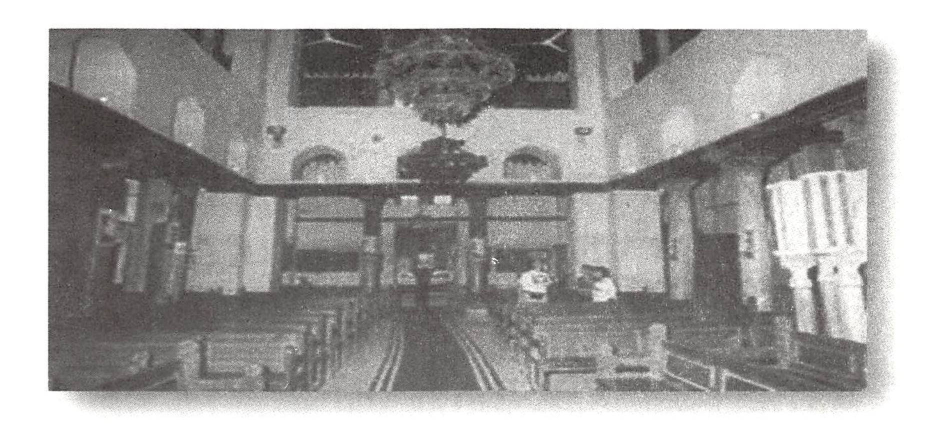


نبع الحمرا - نبع مريم

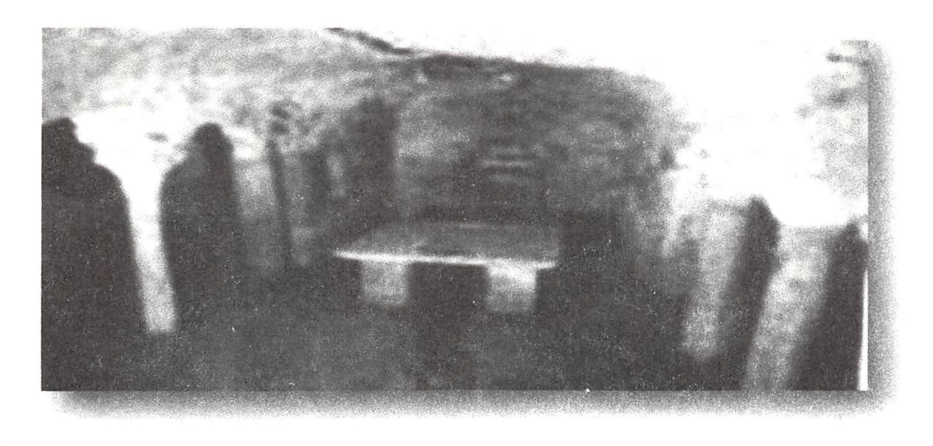
المحطة الخامسة: المطرية وعين شمس



المحطة السادسة: كنائس مصر القديمة



كنيسة أبو سرجة من الداخل



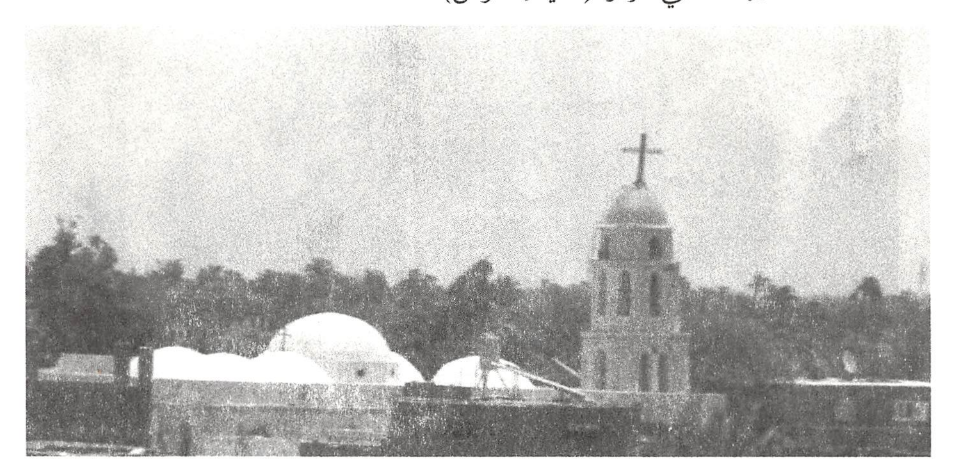
المغارة

المحطة السابعة: المعادي (العدوية).



الكنيسة الأثرية

المحطة الثامنة: البهنسا بني مزار (باي إيسوس).

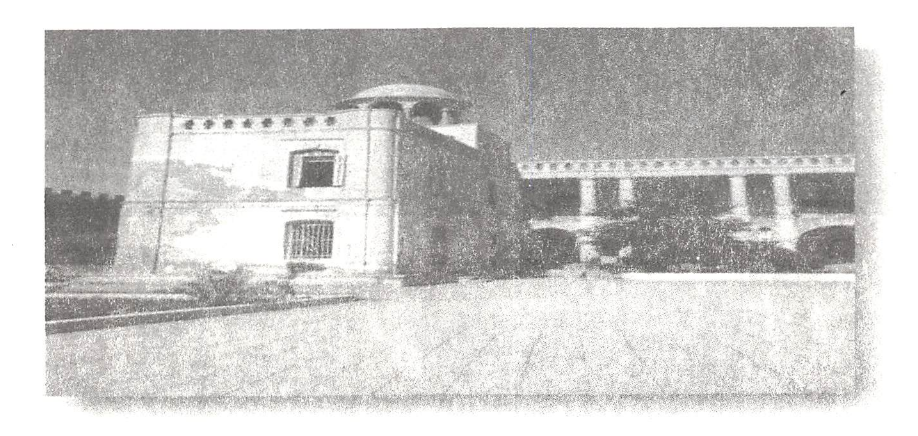


دير الجرنوس - مغاغة

المحطة العاشرة: الأشمونين – المنيا

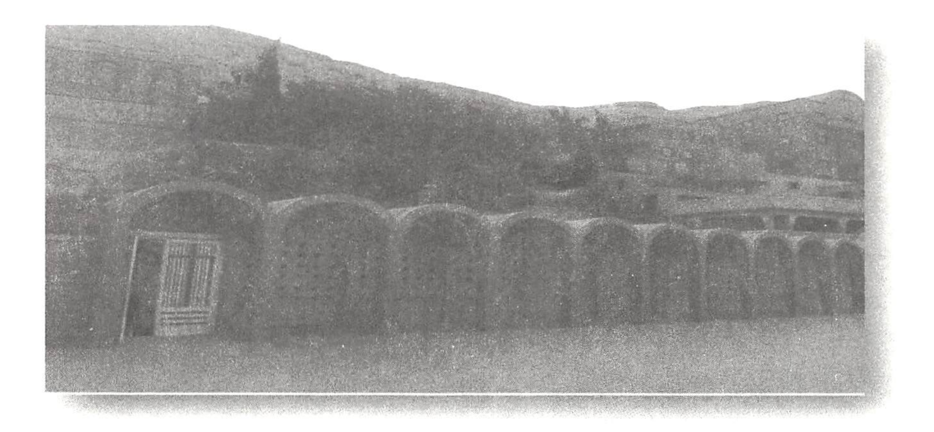


المحطة الحادية عشرة: القوصية – مير – جبل قسقام

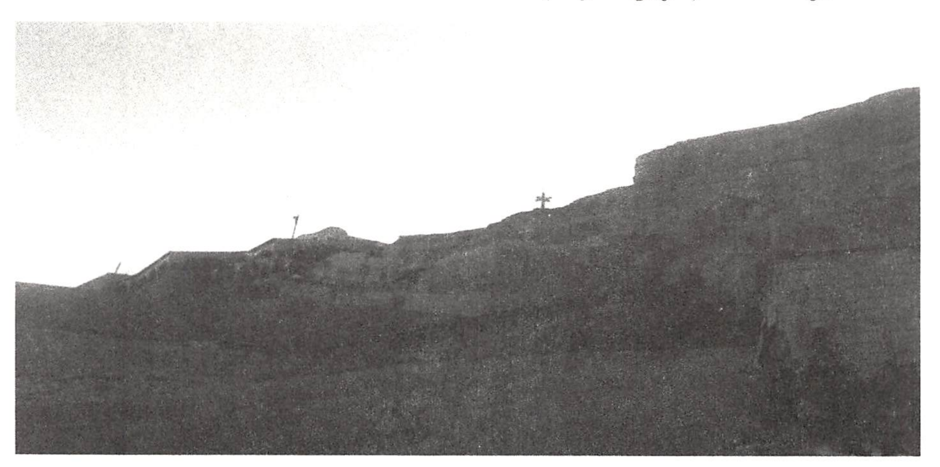


الدير المحرق

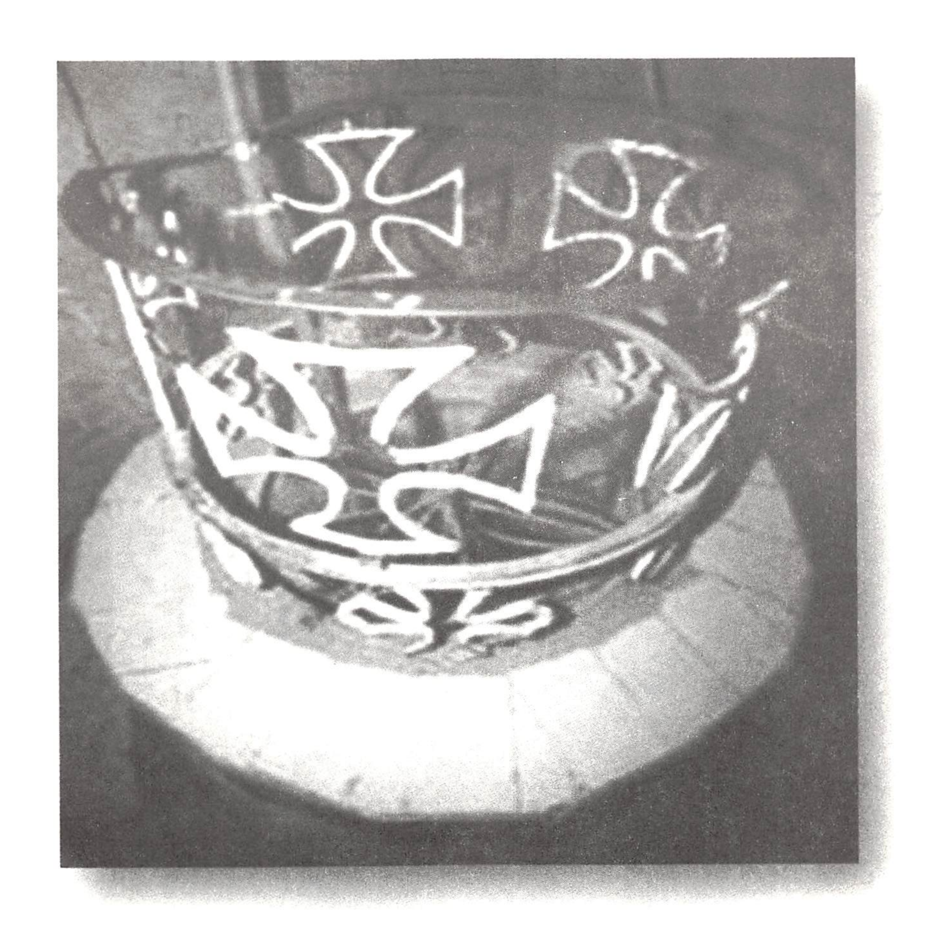
المحطة الثانية عشرة: درنكة (طريق العودة).



دير الجنادلة (طريق العودة).



المعادي – مسطرد – ثم الفرما



مسطرد

وفي عودة العائلة المقدسة مرت على مسطرد المحمة، وأنبع السيد المسيح له المجد نبع ماء لا يزال موجودًا إلى اليوم. وتبعد عن مدينة القاهرة بنحو 10 كم تقريبا. وكلمة المحمة معناها استحمام؛ لأن العذراء مريم أحمت هناك السيد المسيح وغسلت ثيابه.

ذكر العائلة المقدسة في مصر بالكنائس الأخرى وخارج مصر

1. الكنيسة القبطية 24 بشنس - 1 يونيو.
2. الكنيسة اليونانية 26 ديسمبر.
3. الكنيسة اللاتينية 17 فبراير دخول مصر و7 يناير الخروج من مصر.
4. الكنيسة الأرمنية 13 يناير.



رسم بمخطوطة أرمنية القرن الثاني عشر



أيقونة حبشية ترجع للقرن الساس عشر



موزاييك من القرن 12 بمدينة بالريمو بصقلية

العائلة المقدسة في الفن الإسلامي

هناك تصويرة للمصور الإيراني ابن حاجي يوسف محمد زمان في نهاية القرن السابع عشر تمثل هروب العائلة المقدسة إلى مصر، حيث تظهر السيدة العذراء تمسك بيد السيد المسيح الطفل، ويرافقهما يوسف بن داود. وقد رسمت التصويرة متأثرة بالأساليب الفنية الأوربية، ولا سيما في مراعاة قواعد المنظور في رسم الصور الدينية المسيحية، بالإضافة إلى التأثر بالأساليب الفنية العربية في الوصول إلى شيء من العمق والتجسيم واستخدام الظل وتوزيع الضوء، كما تتم بزخرفة خلفية التصويرة برسوم إضافية للمرتفعات أو برسوم بحور عن الطبيعة ورسوم زخرفية إضافية تشبه السحب الصينية. والمعروف أن الشاه عباس الثاني حكم إيران بين

عامي 1642، 1667، وكان شديد الإعجاب بالغرب وفنونه، وأنه أرسل المصور محمد زمان ليدرس التصوير في روما.



وتتشابه التصويرة السابقة التي تمثل قصة هروب العائلة المقدسة إلى مصر في مادة الفنون الإسلامية مع تصويرة مسيحية تمثل نفس القصة على أيقونة قبطية ترجع إلى بداية القرن الثامن عشر الميلادي، حيث تظهر السيدة العذراء على حمار تحمل السيد المسيح الطفل الذي تحيط برأسه الهالة، ويسير خلفهما يوسف النجار، كما يظهر في الخلفية رسم بيوت بسيطة وأشجار ونخيل وملاك يسير بالقرب منهم.

وتتشابه هذه التصويرة كذلك مع تصويرة دينية إسلامية فارسية من مخطوط «روضة الصفا» المؤرخ 1015 ه – 1606م التي تمثل خروج حليمة السعدية بالنبي محمد بصحبة زوجته.

وكذلك فقد ظهر رسم للعائلة المقدسة في رحلة هروبها إلى مصر على مخطوطة قبطية عربية مؤرخة في سنة 1250م بطريقة مشابهة، وأيضًا ظهر رسمان بالريشة في مخطوط عربي كتبه طبيب مسيحي في ماردين عنوانه «إنجيل طفولة سيدنا المسيح» يرجع تاريخ نسخه إلى سنة 1299م

يمثلان قصة هروب العائلة المقدسة بأسلوب قريب من التصاوير السابقة التي تمثل نفس القصة.



رسم على مقلمة لأسهب الزمان القرن الـــ18 بإيران

المراجع

1. الكتاب المقدس.
2. الأنبا غريغريوس: الدير المحرق.

3. مخطوط رقم 643 مسلسل/ 36 تاريخ مكتبة البطريركية بالأزبكية.
4. تاريخ البطاركة - مخطوط رقم 597 مسلسل / 12 تاريخ مكتبة البطريركية بالأزبكية.
5. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، لجنة التأليف والنشر القاهرة 1942.
6. المقريزي: القول الإبريزي.
7. سعاد ماهر: القاهرة القديمة وأحياؤها القاهرة 1962.
8. مخطوط رقم 485 تاريخ / 33 نوعي. المتحف القبطي.
9. زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية / ج 2.
10. حسن الباشا: التصوير الإسلامي في العصور الوسطى.

نشأة الرهبنة القبطية ومدارسها المختلفة..

الأنبا مارتيروس الأسقف العام

أولاً: فكر الرهبنة في الكتاب المقدس

ظهر فكر الانعزال في الصحراء وحياة الصلاة والتأمل في العهد القديم والعهد الجديد، فقد كانت حياة موسى النبي في برية سيناء، وقد اختبر فيها التوحد مع الله بعد أن كان يعيش في كنف فرعون مصر، وبعد أن تهذب بكل حكمة المصريين «أع22:7».

وقال داود النبي الذي أنتجت مشاعره كمًا كبيرًا من المزامير مصدرها قلب نقي في إحداها «من لي في السماء ومعك لا أريد شيئًا على الأرض». «مز 35:73».

وإيليا النبي فوق جبل الكرمل لمدة أكثر من ثلاث سنوات كانت دافعًا لحياة الانفراد الروحي مع الله «1 صم: 41». ووجوده على جبل حوريب وإقامته في مغارة هناك، حيث كان يقيته الملاك «مل 5:19».

نموذج يوحنا المعمدان الذي ظهر في العهد الجديد كان دافعًا أساسيًا للراغبين في حياة النسك والتجرد، فقد عاش في البرية يأكل جرادًا وعسلاً بريًا ولباسه من وبر الإبل «متى 3: 4،5».

ثم جاء السيد المسيح الذي ذكرت عنه الأناجيل أنه كان معتادًا أن يذهب إلى الجبل منفردًا ليصلي، وأشار إلى الحياة الرهبانية بطريقة ضمنية من حيث إنها تسليم الذات لله وحمل الصليب ونذر البتولية واختيار طريق الفقر والترفع عن ملذات العالم، وذلك في آيات كثيرة منها «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك وأعطه للفقراء وتعال أتبعني». «متى 19: 21». ويقول أيضًا «يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد

خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات». «متى 19: 12، 13». والسيد المسيح يقصد هنا نذر البتولية عند الإنسان بحرية إرادته لأجل ملكوت الله.

ومنذ عصر الرسل اشتعل في قلوب المسيحيين إيمان راسخ بأن حياة النسك الإنجيلي هي الوسيلة الصحيحة للحياة في المسيح يسوع له المجد الذي غمر كل حياتهم وأصبحوا لا ينظرون إلى العالم كما ينظر إليه غيرهم، بل كانوا «غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى، بل التي لا ترى؛ لأن التي ترى وقتية، أما التي لا ترى فأبدية». «2 كو 4: 18». ونعلم أن عددًا من التلاميذ والرسل كانوا متبتلين مثل يوحنا الحبيب ومعلمنا بولس الرسول.

ومن ناحية الرهبنة عند العذارى يذكر لنا التقليد الكنسي أن السيدة العذراء مريم انفردت في بيتها مع بعض العذارى للصلاة والعبادة. وكن يخرجن إلى جبل الزيتون، حيث المكان الذي كان ينفرد فيه السيد المسيح مع تلاميذه، وأحيانًا يجتمعن عند القبر المقدس يصلين هناك ويمضين وقتًا للانفراد والتأمل. ومن هنا نشأت فكرة رهبنة النساء ونذر التبتل، ومن خلال كل ذلك نبتت فكرة الحياة الرهبانية والانفراد للعبادة عند المسيحيين، سواء عند الرجال أو عند العذارى.

ثانيًا: مصر المؤهلة لقبول الحياة الرهبانية

المصري بطبيعته يميل إلى التدين، ويميل المتدينون منهم إلى حياة روحية أعمق، وأصفى نية وأكثر صلة بالله. حياة تتوق إلى الكمال والبر. ومن يصل بهم الحنين الروحي إلى درجة الهيام بالله، يسعى إلى التخلص من المشاغل العالمية والاهتمامات المادية، ليتفرغ تمامًا للخلوة والتأمل والعبادة الدائمة. ويذكر في مصر القديمة أن هناك وصية تركها أحد ملوك الأسرة التاسعة لابنه تقول: «إن من عاش

عيشة التقوى والفضيلة كان نصيبه الخلود في الحياة الأخرى، وإن من جاوزت حسناته سيئاته أمام أوزوريس طابت له الحياة الأخرى، أما من لم يضبط نفسه في الحياة الدنيا فإن مصيره للتهلكة». إن المصري بطبيعته يسمو بروحه إلى الحياة الروحية البعيدة عن الحياة الدنيا.

كانت طبيعة مصر الجغرافية أحد العوامل المهمة في تشجيع حياة النسك في الجبال والصحارى والقفار، ليس للمصريين فقط، بل للأجانب أيضًا. وقد استمال سحر صحراء مصر محبي الفضيلة والكمال إليها، فسماؤها الصافية المليئة بالنجوم تنطق بما وراءها من قوة مبدعة مترفقة، وفضاؤها الشاسع يهيئ فرص الحرية الطليقة، وسكونها الشامل يساعد الإنسان على تركيز أفكاره ومشاعره ووجدانه في الله، وأن يخلو إليه ويخشع أمامه.

وهكذا اندفع المصريون المسيحيون إلى البرية لمغالبة الشر، وللخلوة بالله، وكانوا يهدفون من ذلك إلى أن تسمو أرواحهم وتترهف نفوسهم فيستطيعون التحكم في الجسد وأهوائه والتحرر من مغريات العالم التي قد تستهوي الإنسان بعيدًا عن خالقه، وتطمس القبس الإلهي الكائن داخله.

ثالثًا: النشأة المبكرة للحياة الرهبانية في مصر

نشأت الرهبنة المسيحية في مصر حيث بدأت فكرة العبادة النسكية في البراري والقفار منذ زمن سحيق في تاريخها. وإنه من المعروف أن الذي بشر مصر بالإيمان المسيحي هو مرقس الرسول. وكان مرقس شابًا ولم يتزوج حتى قطع الوثنيون رأسه في الإسكندرية ونال إكليل الشهادة. ويقول المؤرخ القس منسي «لما كان مرقس الرسول متحليًا بالطهر والعفاف وبث روح الفضيلة في قلوب كثير من

المصريين فاعتزلوا الخلق ولجأوا إلى الكهوف والمغارات عاكفين على تسبيح الخالق والتغني بذكره الأقدس فتحولت القفار القاحلة إلى رياض يانعة تنبت النفوس وتثمر الكمال».

وظهرت في مصر مجموعة من النساك ويعتقد أنهم طبقوا الفكر الكتابي في المعيشة المشتركة، كما ذكر سفر أعمال الرسل «إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا، لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَ حُقُول أَوْ بُيُوتٍ كَانُوا يَبِيعُونَهَا، وَيَأْتُونَ بِأَثْمَانِ الْمَبِيعَاتِ وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ، فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ». ولما كان القديس مرقس الرسول من أصل يهودي فقد كان غالبية الفئة التي مارست النسك والعبادة وأفرزت مجتمعًا قائمًا بذاته منعزلاً من اليهود، ولكنهم تنصروا واستوطنوا مصر على الأخص كما ذكر التاريخ في الإسكندرية وجنوب أسوان. وقد ذكر فيلو المؤرخ عبارة تدل على ذلك، فقال: «ويبدو أنهم كانوا من أصل عبراني، ولذلك كانوا يراعون معظم عوائد الأقدمين حسب طريقة اليهود». ومن المعتقد أيضًا أن هذه المجتمعات المغلقة التي انضمت إلى المسيحية كانت تمارس أنظمتها اليهودية من أعمال النسك والتقشف التي كانت متبعة قبل المسيحية. وقد أورد لنا التاريخ أخبارًا عن نساك جبل قمران بشرق الأردن في فلسطين. وأشار فيلو إلى وجود كتب وقوانين تحدد نظم هذه المجتمعات النسكية، فقال: «ولديهم أيضًا كتابات من القدماء مؤسسي جماعتهم الذين تركوا آثارًا كثيرة رمزية، وهؤلاء يتخذونهم قدوة لهم ويقلدون مبادئهم».

ويورد الباحث بعض الإشارات المهمة عن ظهور الحياة الرهبانية النسكية في القرون الأولى للمسيحية ما يلي:

أ- أوائل المؤمنين السكندريين: قيل إن أعضاء كنيسة الإسكندرية مع القديس مرقس الإنجيلي كانوا يتناولون الطعام كل يوم مرة واحدة بعد الغروب، وبعضهم كان يصوم ثلاثة أيام، وكانوا يأكلون خبزًا ويشربون ماء فقط.

ب- مدرسة الإسكندرية اللاهوتية: وقد مدح المؤرخون معلميها وتلاميذها، حيث كانوا يمارسون الصلاة والصوم وعدم الاهتمام بأباطيل العالم والزهد في الزمنيات، ومنهم العلامة أوريجانوس (185م - 254م) الذي قال: «يجب على المتشبه بالمسيح أن يتدرب على الانفصال عن أقاربه وكل الرغبات العالمية والممتلكات، فهذا فقط هو الذي يمكنه من إعداد مسكن للرب في قلبه». ويتكلم عن التدريب النسكي بقوله: «إن الانفصال الكامل عن العالم لا يمكن اقتناؤه إلا بالتدريب النسكي خلال العمر كله». ويقول أيضًا: «السهر المتعاقب يقهر قوة الجسد، والصوم المتواتر يهزمه والدراسة المتواصلة نهارًا وليلاً في الكتب المقدسة تساعد على التركيز في الأمور الإلهية».

ج- إكليمنضس السكندري (150 - 215م) قال: «النساك هم الجزء المختار من الناس المختارين». قامت هذه الفكرة الانعزالية للرجال خارج المدن والقرى. ونجد أنه كان يوجد أفراد منعزلون عن المجتمع في أواخر القرن الأول الميلادي، ونعلم هذا من قول القديس إكليمنضس الروماني عندما كان يذهب يتفقد رعيته بقوله: «إن وجد هناك قديس ناسك ندخل عنده ونلتجئ إليه.. ويقوم الناسك بإعداد المرقد حتى ننام.. كل هذه الأمور يصنعها بنفسه المكرس الموجود في الموضع الذي

نحن فيه.. أما بقية الإخوة الذين في نفس الموضع فكل واحد منهم يتبعه في تنفيذ خدمة الضروريات، لكن لا يكون في ذلك الوقت بيننا امرأة أو صبية». ويستشف من ذلك أنه كان يوجد هناك نساك في تلك الآونة أي في أواخر القرن الأول الميلادي، كما أنه واضح من قوله، أنهم مجموعة تحت قيادة أب دعاه باسم القديس.

د- العلامة ترتليان: لقد أسس مذهبًا عرف بالمذهب الترتلياني تميز بالشدة والزهد والتقشف.

هـ- هيبوليتس (170م - 235م) قال: «النساك محسوبون في الكنيسة ضمن الطغمات السمائية السبع».

رابعًا: رهبانيات النشأة الأولى للحياة الرهبانية في مصر

1- نساك على ضفتي النيل وعلى مشارف القرى:

أما في مصر فقد عاش عدد من النساك المنعزلين خارج المدن والقرى على الرغم من أنه لم تكن تربطهم أي قاعدة عامة. وكان لكل فرد من هؤلاء النساك صومعة أو كوخ يحيا في الليالي والأيام في التأملات الطويلة والتراتيل الروحية مواظبًا على السهر والوقوف الطويل والصوم والعطش. ولم تكن صوامعهم وأكواخهم بعيدة عن القرى والمدن إلا قليلاً، حسب ما أفاد القديس أثناسيوس. ولم يزل خلف هؤلاء السائحين يأخذ عن السلف هذه الطريقة إلى أيام القديس أنطونيوس الذي جمع شملهم ونظم أحوالهم.

أ- يسرد التاريخ نساكًا عاشوا على ضفاف النيل العظيم وعلى مشارف القرى، فمن خلال سيرة الأنبا باخوميوس أب الشركة الذي ولد في

إقليم «تبايس»، أي طيبة نحو 290م من أبوين وثنيين، وعندما أصبح في الجندية في سن العشرين من عمره كان في مهمة ضمن الجيش الروماني إلى بلاد الحبشة. وعند رجوع الجيش واستقراره في مدينة «لاتوبوليس»، إسنا حاليًا، تعرف على الديانة المسيحية من خلال ما أظهره سكان المدينة من كرم وحب، وهناك نال سر المعمودية على يد الأنبا سرابيون، أسقف دندرة (قنا حاليًا). وإذا سمع بالناسك المتوحد القديس بلامون أسرع إليه ليتتلمذ على يديه حبًا في حياة الرهبنة، وكان بلامون الناسك يسكن في قلاية خارج بلدة القصر، والصياد الآن بمحافظة قنا.

ب- تسرد المخطوطة العربية (18 س) والمطابقة للنص القبطي الذي حققه «إميلينو» بدير أبو مقار، أن القديس مقاريوس الكبير الذي ولد عام 300م تقريبًا وهو في شبابه، توجه إلى راهب متوحد يسكن بعيدًا عن القرية قليلاً: «وكان هناك راهب متوحد بعيدًا من القرية قليلاً يتقي الله كثيرًا هادئًا في رهبنته منفردًا وحده، هذا مضى إليه مقاره وعرفه أفكاره. وأرشده الشيخ أن يمضي بعيدًا من القرية ويسكن في قلاية وحده؛ لأنه لم تكن هناك بعد أديرة». وهذه أخبار النشأة الأولى للحياة الرهبانية التي تمركزت حول القرى والمدن بعيدًا قليلاً.

ج- من المعلوم أن القديس أنطونيوس الذي ولد عام 251م بعد تأثره بالآية الإنجيلية «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك وأعطه للفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال أتبعني». «مر 19: 21». فوزع أمواله وكان بالقرية المجاورة شيخ قديس عاش حياة النسك منذ

شبابه ذهب إليه أنطونيوس ليتتلمذ على يديه، إضافة إلى ذلك أنه كان يجول على نساك آخرين يتعلم منهم دروب الحياة النسكية، ثم بعد ذلك انصرف إلى مكان قريب من شاطئ النيل وتوحد هناك فترة من الزمن، ومنها إلى الصحراء الشرقية في المغارة التي تحمل اسمه الآن بدير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر.

2 – ظهور جماعات رهبانية مبكرة في الصحـــراء المصرية

أول ناسك بالصحراء الشرقية

يعد الأنبا بولا أول السواح هو أول ناسك في الصحراء الشرقية، فقد ولد عام 228م في قرية «سفرو»، وهي حاليًا تدعى «تل الكفور»، أمام بلدة قلوصنا على شاطئ النيل الغربي، وكان قد رغب في تكريس حياته لله وهو في سن الشباب، وذلك إثر منازعة بينه وبين أخيه الأكبر في تقسيم الميراث، واتفقا على عرض القضية على القضاء، وفي الطريق شاهد جنازة أحد العظماء وهو ذاهب لمثواه الأخير فأخذ الموعظة والعبرة وقرر أن يعتزل العالم ويعيش حياة النسك والتجرد ليضمن الحياة الأبدية. وتقول الرواية كما كتبها العلامة جيروم عام 404م، إن الشاب عاش أولاً في أحد المقابر المهجورة ثم توغل بعد ذلك في الصحراء الشرقية حتى وصل إلى جبل النمورة ووجد مغارة هناك وعين ماء عذبة فعاش هناك مدة تقرب من تسعين عامًا.

أقدم جماعة نساك بمصر تظهر بصحراء نتريا:

تذكر مجموعة حياة القديسين acta sanctirum التي بدأ يجمعها الإخوة البولنديون نسبة إلى مؤسسها بولوندس سنة 1643م بمدينة أنتورب في بلجيكا وقد بلغ عدد مجلداتها الضخمة للقديسين التي تقع تذكارات حياتهم من يناير إلى أكتوبر

62 مجلدًا، وتحت تاريخ 14 أبريل في عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس (138م - 161م) تخبرنا عن شخص يدعى فرونتونيوس رحل إلى برية نتريا بجنوب الإسكندرية وفي صحبته سبعون مسيحيًا ليعيشوا عيش الرهبان، زاهدين في الحياة الدنيا وراغبين في التقشف والعزلة. ويعلق العلامة والس بدج على ذلك بأن تلك الجماعة الرهبانية المنظمة لم تكن بطبيعة الحال إلا واحدة من جماعات متعددة كانت تظهر تباعًا دون أن تسجلها الكتب المعاصرة. وأغلب الظن أن ذلك راجع لحدوثها في الخفاء بغير ضوضاء أو إعلان؛ لأن الديانة الجديدة أساسها إنكار الذات وعدم المباهاة بأمثال هذه الضروب من العبادة والتقشف والتي كانت تحض الزهاد والمعتزلين أو الرهبان على الاحتفاظ بأعمالهم سرًا مكنونًا لا يعلمه إلا فاحص القلوب.

نساك شرق أخميم

لأن أخميم كانت تعد معقلاً مسيحيًا فقد نشأت منها الحياة الرهبانية على الأخص في الجانب الشرقي من النيل داخل الصحراء، فقد ذكر في مخطوطة شهداء أخميم أن أخوين اسمهما ديسقوروس وإسكلابيوس ابني رجل ميسور الحال يدعى أمونيوس مضيا إلى جبل أخميم وعاشا لمدة 45 عامًا في هذا الجبل يمارسان الحياة المتقشفة والنسكية وظهرا بعد ذلك في المدينة ونالا إكليل الشهادة على يد إريانوس والي أنصنا ومعهما أربعة وعشرون راهبًا، وكان ذلك بين عام 300 و305م، وعلى هذا الأساس يرجح أنهما قد ذهبا للتنسك في الصحراء شرق أخميم نحو عام 255م تقريبًا. وتذكر هذه المخطوطة أن جماعات من الفلاسفة من اليونان كانوا دائمًا في حوار جدلي حول الإيمان المسيحي الذي بزغ نوره في الوجود مع النساك المسيحيين الساكنين شرق أخميم، وهذا يعني أن جماعة رهبانية مبكرة كانت تعيش هناك.

نساك جبل إسنا

من خلال مخطوطة شهداء إسنا يأتي ذكر جبل أغاثون، أي جبل الصلاح، وهو الجبل الغربي بحاجر إسنا، ويبعد عن إسنا بنحو 3 كم، وهو الذي كان يعيش فيه قديس ناسك يدعى إسحاق، وفي وقت حركة الاستشهاد أيام إريانوس، والي أنصنا في حكم دقلديانوس الملك (284 – 306) كان يعمل عيد تذكار نياحة هذا القديس، أي منذ مائة عام على الأقل من تاريخ تولي دقلديانوس، أي أن هذا الناسك كان يعيش في هذا الجبل في القرن الثاني الميلادي تقريبًا، وكان الأنبا أمونيوس أسقف إسنا، والذي استشهد على يد إريانوس يقضي نصف وقته بمغارة بهذا الجبل ونصف وقته الآخر مع رعيته، وهذا يعني أن نساكًا كانوا يعيشون في وقت مبكر جدًا في هذه المنطقة.

خامسًا: أنظمة الرهبنة

أخذت الرهبنة ثلاثة أشكال رئيسية، ظهرت كلها في مصر، ومنها انتشرت لكل العالم. يخبرنا تاريخ البطاركة أنه كان في الجيل الثامن للأنبا إبراهيم، أسقف الفيوم، مال كبير للبيع؛ لأنه كان عنده في كرسيه خمسة وثلاثون ديرًا بالفيوم، وهو المتولى عليهم، وكان عليه خراج خمسمائة دينار لبيت مال السلطان؛ لأجل ذلك كان مقدمًا عند كل أحد، وكان تجار مصر يبيعونه ويشترون منه، ومنها أيضًا الواقعة غرب الإسكندرية، وقد ورد في تاريخ البطاركة أنه في أيام رئاسة الأنبا بطرس الرابع (567 – 569) الرابع والثلاثين من بطاركة الإسكندرية. كان في ذلك الموضع أعني غرب الإسكندرية ستمائة دير عامرة كلها بالأرثوذكسيين، وجميعهم رهبان ورهبانات مثل خلايا النحل من عمارتهم.

1- النظام التوحدي

وهو العزلة التامة، حيث ينظم كل متوحد حياته وصلواته وملابسه وطعامه وعمله اليدوي. ويلقب بلقب «السائح»، وغالبًا يعيش بلا قلاية ثابتة، بل يجول في البرية الواسعة. بدأ نظام الرهبنة بنظام التوحد، وهو أول نظام اتبع في الرهبنة وسار عليه أول من ترهب مثل الأنبا بولا السائح والأنبا أنطونيوس. وهذا النظام الرهباني يخص الرهبان الذين يعيشون متفرقين منفردين كل واحد في مغارة أو كهف في الصحارى والجبال، ويتبعون نظامًا خاصًا في صلاتهم وصومهم وعبادتهم وتأملاتهم، وحتى الأنبا باخوميوس الذي وضع نظام الشركة للرهبان الكثيرين الذين تبعوه، عاش هو نفسه على نظام العباد المتوحدين، وكان له مغارته البعيدة عن الدير، وعاش المتوحدون بالقرب من أديرتهم في مبانٍ خاصة فيما بعد عرفت هذه المباني بالمنشوبيات.

وفي نظام التوحد لا يضم المغارات ولا الكهوف ولا المنشوبيات سور واحد، وما كان على أب الدير أو رئيسه يتفقد الرهبان واحدًا واحدًا يرشدهم ويوجههم ويسأل عن سلامتهم واحتياجاتهم ويجيب عن أسئلتهم، والدير بهذا المعنى يسمى موناستيريون، ومعناه مكان يضم مجموعة مغارات متناثرة كل منها مونا مستقلة بذاتها.

2- نظام الشركة

شهد القرن الرابع نشاطًا في الدعوة الرهبانية في الصعيد، وكانت هذه الحركات متزامنة مع رهبنة القديس أنطونيوس التي أسسها في الوجه البحري، فانتشرت الجماعات الرهبانية، وتناثرت الأديرة في أنحاء مصر العليا، حيث كانت

الأرض خصبة والروحانية عالية. وكان القديس باخوميوس الذي عاش بين عامي (286 – 346م)، والذي تدرب تحت قيادة القديس بلامون الناسك، قد أسس نظام الشركة في الحياة الرهبانية الجماعية، فكان كل من يضع في قلبه اختيار طريق البتولية والصلاة والحياة في البرية، يقصد أحد الآباء الروحيين المختبرين ليلقنه قوانين الرهبنة، وكان عليه أن يحضر العظات الأسبوعية التي يتلوها الرئيس ويستمع إليها المبتدئون، وكان يظل يتردد فترة على الشيوخ يتدرب منهم على تعاليم الفضيلة وطريق الجهاد الروحي قبل أن يسمح له بأن يأتي وينضم إلى الشركة مع الإخوة ويخوض في تلك الحياة. وقد انتشرت جماعات القديس باخوميوس وشملت أجزاء كثيرة من الصعيد حتى بلغ عدد الأديرة التي أسسها تسعة أديرة، وضمت 5000 راهب عدا العذارى. وأفرد في هذا البحث قوانين الأنبا باخوميوس التي تعرف بقوانين الشركة:

أ- **طالب الرهبنة:** بعد التأكد من أنه غير هارب من العدالة، كان يقضي ثلاث سنوات تحت الاختبار يتعلم خلالها القراءة والكتابة، إن كان يجهلهما، وكان لزامًا عليه أن يحفظ عن ظهر قلب عشرين مزمورًا ورسالتين من العهد الجديد. وكان يقيم في أثنائها في سكن مجاور لباب الدير، فإن ثبتت صلاحيته يسام راهبًا وينتقل للسكن في قلالي الرهبان داخل الدير.

ب- **الملابس:** تمتاز بالبساطة التامة. يرتدي الراهب داخل الدير قميصًا قصيرًا من غير أكمام يصل إلى ركبتيه مصنوعًا غالبًا من التيل الخشن تعلوه منطقة (حزام عريض من الجلد يشد به وسطه)، ويغطي رأسه بقلنسوة. وكان يسير حافي القدمين. أما خارج الدير فكان يغطي كتفيه بجلد خروف أو ماعز (وهي من

مميزات الرهبان في ذلك الوقت). ويضع عباءة فضفاضة مخيطة بأعلاها قلنسوة الرأس ومرسوم على جبهتها علامة الدير وهو صليب ملون بلون خاص يدل على المؤسسة التي ينتمي إليها الراهب، وكان ينتعل صندلاً مفتوحًا.

ت- **الطعام**: كان الطعام يقدم للرهبان في قاعة المائدة مرتين كل يوم ظهرًا ومساءً، ولم يكن الحضور إلزاميًا حتى تتاح الفرصة لبعض النساك الذين يتبعون نظامًا خاصًا في حياتهم ولا يتناولون إلا وجبة واحدة من الخبز والملح عند الغروب. وكان الطعام يتألف من الخبز والخضر والحساء والجبن والفاكهة، وعلى ذلك فقد كان الرهبان الباخوميون نباتيين لا يأكلون اللحم، وكانوا يدخلون قاعة المائدة، ويأكلون في سكون دون أن ينظر الواحد منهم إلى جاره، وفي أعلى القاعة منصة يقرأ من فوقها أحد الرهبان بعض القراءات المقدسة حتى ينتهي الرهبان من الطعام.

ث- **النوم**: كانت القاعدة في النظام الباخومي هي سكنى الرهبان، كل ثلاثة في قلاية، ولا تزال هذه الآثار واضحة في بقايا دير القديس سمعان (أنبا هدرا) قرب أسوان وبكل منها ثلاث مصاطب لكل منها رأس مرتفع من الطين على شكل وسادة، وكان يفرض على الراهب أن ينام في النصف الأول من الليل، بينما يقضي النصف الثاني في الصلاة والتسبيح حتى الصباح، وكان ممنوعًا أن يتجاذبوا أطراف الحديث داخل قلاليهم.

ج- **العمل اليدوي**: كان إجباريًا لا يعفى منه أحد حتى رؤساء الأديرة. ومن الحرف التي اشتغلوا بها صناعة الحصر والمقاطف من سعف النخيل وفتل الحبال من الليف وأشغال النجارة والحدادة والحياكة والرعي والزرع والعجن والخبز والطبخ.. إلخ. كما كان هناك من يشتغل بأعمال نساخة الكتب.

ح- **التعليم:** وكان الأنبا باخوميوس ثوريًا في هذه الناحية، إذ قضى على الأمية في أديرته بأن جعل القراءة والكتابة شرطًا من شروط الالتحاق بالدير على نحو ما ذكرناه. ونظم ثلاثة دروس يومية للمبتدئين في الساعات الأولى والثالثة والسادسة من النهار (أي أول النهار) والتاسعة والثانية عشرة بالتقويم الأفرنجي الحالي، بالإضافة إلى دروس أخرى عامة يقدمها رؤساء الأديرة بأنفسهم يومي الأربعاء والجمعة في تفسير الكتب المقدسة والتعاليم المسيحية وكان حضورها إجباريًا على الجميع على أن التعليم كان يهدف جميعه إلى الناحية الدينية وحدها وكانت المكتبات مفتوحة لكل قارئ يريد الاستفادة بما فيها.

خ- **العبادة:** وضع لها نظمًا ثابتة في شقيها الجماعي والانفرادي. كانت الصلاة جماعية تقام بالكنيسة ثلاث مرات كل يوم في الصباح ووقت الظهر وفي المساء، وهذه يحضرها جميع الرهبان بلا استثناء، أما الصلاة الانفرادية فكان الرهبان يؤدونها في قلاليهم، كما كانوا يشتركون في القداس الإلهي صباح يومي السبت والأحد.

د- **العقاب:** لا مندوحة من وجود القوانين الرادعة في الجماعات الكبيرة العدد لردع الخارجين على النظام والمستهترين، وكان العقاب يتدرج من اللوم والتوبيخ العلني والحرمان من وجبات الطعام قصاصًا عن الأخطاء الصغيرة كالضحك أو النظر يمينًا أو يسارًا على مائدة الطعام، وقد يصل العقاب إلى الطرد من الدير لكل من لا يرجى إصلاحه.

ذ- **الإدارة:** وتتضح عبقرية باخوميوس ومقدرته الفائقة في التنظيم الذي وضعه لإدارة أديرته، حيث كانت الإدارة المحلية لكل دير توكل إلى رئيسه يعاونه نائب رئيس وله أمين للمخازن وأمين للمكتبة، بالإضافة إلى أمين لكل فئة من

الفئات المختلفة التي تتطلبها ظروف العمل في كل دير كالمعلمين والخبازين والنجارين والبنائين والحدادين والزراع والحمالين والنساجين.. إلخ، فكان لكل من هذه الفئات رئيس يشرف على عملها تحت إشراف رئيس الدير أو نائبه، ولما كثر الرهبان وتنوعوا قسموا إلى أسر كل أسرة تضم رهبان جنس معين، وذلك بعد أن اجتذبت حياة الشركة رهبانًا من أمم متباينة، وكان لكل أسرة معلم من جنسها للتفاهم مع بني جنسه وإرشادهم.

أما نظام المركزية فيتجلى في أن كل ثلاثة أو أربعة أديرة متقاربة تكون ما يسمى القبيلة يشترك رؤساؤها في انتخاب واحد من بينهم ليكون زعيمًا لتلك القبيلة، وهؤلاء يجتمعون من وقت إلى آخر للتشاور فيما يهمهم، ثم إن جميع رؤساء الأديرة وزعماء القبائل يخضعون خضوعًا مطلقًا لرئيس الأديرة العام، سواء باخوميوس أو خليفته، وكان إشراف الرئيس العام يتم عن طريقين، الأول بالزيارات، والثاني بعقد اجتماعين عامين كل سنة يحضرهما جميع رهبان المؤسسات الباخومية في الدير الرئيسي في ببو. وكان الاجتماع الأول يعقد في عيد الصعود، والاجتماع الثاني في الثاني والعشرين من شهر مسرى. وفي اجتماع مسرى يتم طرح مسائل الأديرة واستعراض حالتها ومحاسبة رؤسائها.

نظام النصف شركة

أنشأ القديس أنبا يحنس كاما (تنيح سنة 859 م). نظامًا رهبانيًا في ديره يتشابه مع أنظمة القديس باخوميوس وفي الوقت نفسه يحتفظ بمبادئ الوحدة في الرهبنة التي وضع حجر أساسها القديس أنطونيوس الكبير والقديس مكاريوس. لذا كان نظامًا فريدًا في نوعه يعد بحق النواة الرئيسية التي ارتكزت عليها الأنظمة الرهبانية بعد ذلك وحتى وقتنا هذا.

لقد أعطى مفهومًا جديدًا لمعنى كلمة الدير، فبعد أن كان مفهوم الدير عبارة عن كنيسة كبرى وبجوارها حصن عال وحول ذلك عدة قلالي متفرقة ومتباعدة عن بعضها عدة أميال (قبل منتصف القرن التاسع الميلادي). أصبح اصطلاح كلمة دير بعد ذلك يعني أسوارًا عالية يتحتم حياة الشركة داخلها، أما طقس التوحد بمفهومه العام فقد انتهى من القرن التاسع.

ويقول العلامة إفلين هوايت إن هناك ظاهرتين بدأتا على الحياة الرهبانية داخل الأسوار هما:

أولاً: بدأت الجماعة تجتمع معًا لتلاوة قانون السواعي في مواعيد محددة.

ثانيًا: احتفظ كل راهب بجزء من تدبير وجوده السابق، وهو أن يعيش منفردًا في قلاية وحده يأكل ويشرب وينام وحده، وبقيت المائدة العمومية للمناسبات. ومن المعلوم لدينا أن القديس يحنس كاما كان أول من ابتنى الأسوار القوية حول ديره.

إن الحياة الرهبانية التي نشأت بدير القديس أنبا يحنس كاما وبالأديرة عامة بعد ذلك، أطلق عليها بعض المؤرخين اصطلاحًا «النظام النصف باخومي» أو نظام «النصف شركة»، وهذا النظام وليد تطوير وتخفيف القوانين الوضعية الخاصة بحياة الشركة التي وضعها القديس باخوميوس، وأيضًا تطوير لنظام الوحدة والانفراد، وبمعنى آخر جمع بين الاثنين. وسنطرح الآن بعض النقاط التي من أجلها نشأ النظام نصف الباخومي كما يلي:

ا- كانت هناك أخطار كثيرة تلاقيها جماعات المتوحدين بالمغارات والقلالي المنفردة، خاصة من هجمات البربر المتكررة وبدو الصحراء، وكان يتم في

أثنائها سلب ونهب وحرق القلالي والكنائس، بل ونوال الكثير من الآباء الرهبان إكليل الشهادة على أيديهم، وليس أدل على ذلك من وجود الجبانة العظيمة (مدفن) الرهبان التي تقع حاليًا بجوار دير الأنبا يحنس القصير، والتي تضم عشرات من أجساد آبائنا الرهبان منهم الذين كانوا ضحية هجمات البربر وبدو الصحراء، كما حدث ذلك في هجوم البربر على البرية بمنطقة كيليا ثلاث مرات في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي؛ لذلك قربوا قلاليهم من بعضها.

ب- غريزة حب البقاء الرهباني التي من أجلها نزح الآباء المتوحدون من مغاراتهم وقلاليهم إلى الوديان وتجمعوا حول قيادات رهبانية وكونوا حياة مجمعية مشتركة لتجنب أخطار قلة الموارد الغذائية وندرة ينابيع المياه وأخطار المرض والاضطهادات، وكان من نتائج تلك الأسباب ظهور أسوار حول الأديرة والمنشوبيات وانكماش جماعات المتوحدين بداخلها ليعيشوا حياة رهبانية مشتركة أطلق عليها اصطلاح النصف باخومي، أي أنه حدث تطور كبير في أنظمة الرهبنة.

ت- ضعف الحياة التوحدية بنظامها القديم وتراجعها وانتهاؤها بغض النظر عن الاجتهادات الفردية، أدى إلى ظهور نظام جديد للرهبنة وهو النظام النصف باخومي الذي امتد حتى وقتنا هذا.

سادسًا: المصادر الأصيلة الأولى للحياة الرهبانية

1- كتاب التاريخ اللوزياكي أو بستان الرهبان

وهو الكتاب الذي ألفه الراهب الناسك «بلاديوس» سنة 419م، وقدمه إلى

أحد معاوني الملك ثاؤذوسيوس الثاني (لوزيوس). ومن هنا جاء اسم الكتاب الذي اشتهر به. ولو أن اسمه الحقيقي عند الآباء الرهبان الأوائل كان الفردوس. ويعتبر كتاب التاريخ اللوزياكي لبلاديوس الوثيقة الأولى والأساسية التي قدمت للعالم تاريخ الرهبنة في مصر.

2- كتاب تاريخ الرهبنة في مصر (هستوريا موناخورم) لروفينوس

وهو عبارة عن وصف لرحلة رئيسية طويلة لبراري مصر، يتفرع منها رحلات جانبية كثيرة للمناطق الرهبانية المتعددة في وادي النيل، قام بها رحالة يظن أنه روفينوس المؤرخ المشهور وبصحبته سبعة رفقاء، وذلك في شتاء سنة 394 – 395م، واصفًا فيها كثيرًا من النساك والمتوحدين من أقصى الصعيد حتى أقصى الشمال، أما تاريخ هذه الرحلة المهمة والشهيرة فتحددها التواريخ الآتية:

كانت الجماعة في ضيافة القديس يوحنا الأسيوطي بجبل أسيوط بعد انتصار ثيؤدوسيوس على أوجينوس مباشرة، وكان هذا في نهاية سبتمبر سنة 394م. وفي هذا الوقت بالذات بدأت رحلتهم صوب إقليم نتريا في الشمال التي بلغوها بعد نياحة القديس مقاريوس السكندري مباشرة، والمعروف أنه تنيح في نهاية سنة 394م.

3- كتاب أقوال الآباء – المعروف باسم «أبوفثجماتا باترم».

يرجع تاريخ أقوال الآباء إلى الأصول الأولى للرهبنة المسيحية مع بداية الحياة التوحدية في براري مصر، حيث منبع الرهبنة ومؤسسوها العظام أنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس، وقد بدأت هذه الأقوال تحمل طابعًا خاصًا يميزها عن بقية المؤلفات الآبائية الأولى. فهي ليست ذات هدف تاريخي أو مجرد سرد لسير

القديسين أو أخبار معجزاتهم أو تسجيل لمواعظهم وتعاليمهم، وإنما بدأت في شكل كلمات للمنفعة ينطق بها شيوخ مختبرون ملهمون بالروح لتقديم التوجيه الشخصي النابع من خبرتهم الخاصة لأولادهم الخاضعين لإرشادهم.

وكان الشيوخ الحاصلون على موهبة الكلمة لتوجيه المبتدئين في الوحدة لا يتكلمون إلا كما يعطيهم الروح لمن يسمع ويطيع، فإن لم يوجد من يطيع يحجمون عن الكلام مهما كان الإلحاح عليهم بالسؤال، لذلك صارت كلماتهم ثمينة غالية، إذ يكمن فيها سر الحياة والخلاص. ومن ثم أخذت هذه الكلمات تتداول بين الرهبان كتقليد شفاهي يحمل توجيهات الروح للراهب المبتدئ.

هذا التقليد الشفاهي المتداول من الكلمات الملهمة بالروح التي نطق بها الشيوخ المصريون المختبرون باللغة القبطية أولاً، بدأ الاهتمام بتدوينه من أجل المنفعة العامة في تجميعات صغيرة متفرقة يمكن اعتبارها بداية نشأة كتابات أقوال الآباء «الأبوفثجماتا باترم».

وأغلب الظن أنه قد بُدئ في تجميعها في مجموعات باللغة اليونانية في أوائل القرن الخامس، وكانت عبارة عن أقوال متفرقة لمشاهير آباء البرية المصريين الأوائل مع أخبار عن فضائلهم ومعجزاتهم. ومن الواضح أنه لم يكن يجمعها خط فكري واحد، بل كانت عبارة عن مجموعة خبرات روحية متعددة وضعت من دون ترتيب معين، وتبدو أحيانًا كأنها متعارضة، ولكنها مع ذلك كانت تمثل ذخيرة من الغنى الروحي الذي لا يضاهى. ومن هنا جاء التقدير العظيم لها عند المؤرخين الكنسيين الذين اعتبروها أهم مصدر لأصول الروحانية الرهبانية، فهي تمثل المادة الأولى لكل ما جاء بعدها من كتابات رهبانية.

المراجع العربية:

1- أشعياء ميخائيل (القمص)، **حياة الشركة الباخومية**، الناشر دير القديس الأنبا باخوميوس حاجر إدفو، الطبعة الأولى، مطبعة الأنبا رويس، العباسية.

2- أليس إسكندر بشاي (أ.د)، **الرهبنة الديرية القبطية المعاصرة دراسة أنثروبولوجية بوادي النطرون**، الطبعة الأولى، دار ماريا للطباعة الحديثة.

3- تادرس يعقوب (القمص)، **قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية (ب – ت– ث)**، مطبعة الأنبا رويس الأوفست العباسية.

4- ساويروس (الأنبا)، **دير جبل قسقام قدس – تراث**، إصدار دير السيدة العذراء المحرق أسيوط – القوصية طبعة ثانية مزيدة، مطبعة دار نوبار للطباعة.

5- متى المسكين (الأب)، **الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار**، مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.

6- مراد كامل، **حضارة مصر في العصر القبطي**، إعداد وتعليق د/ ميخائيل مكسي إسكندر، مطبعة شركة هارموني للطباعة.

7- منير شكري، **أديرة وادي النطرون**، الناشر دير السيدة العذراء السريان، مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا بمريوط.

8- يسطس (الأنبا)، **حياة الأنبا أنطونيوس بقلم البابا أثناسيوس الرسولي البطريرك العشرين**، الناشر دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر، الطبعة الثانية ديسمبر 2002.

9- الرهبنة القبطية، الناشر جمعية مارمينا العجايبي للدراسات القبطية بالإسكندرية، الطبعة الثانية نوفمبر 2001، مطبعة مركز الدلتا للطباعة.

10- موسوعة من تراث القبط، المجلد الثاني، الطبعة الأولى.

المراجع الأجنبية

1- Derwas j.chitty, **the desert a city**, printed in the U.S.A.

2- Hugh G. Evelyn white, **the monasteries of the wadi ' n natrun**,part III, new York,1973.

3- Kevin A.lynch,c.s.p.,**the classic of western spirituality**, published by paulist press, new jersey.

4-Otto f.a. meinardus, **monks and monasteries of the egypyian desert**,the American university in cairo press.

5- The rt rev henry hill, **light from the east**,1988

أثر اللغة القبطية على اللغة العربية..

الباحث إسماعيل عمر

اللغة كائن حي يولد وينمو ويشب ويدخل في طور الشيخوخة وقد يندثر تمامًا، فهناك لغة حية ولغة ميتة (كاللاتينية مثلاً) اندثرت. ويعتري هذه اللغة ما يعتري الأحياء من غنى وفقر، ومن سعة وضيق، ومن انتشار وانحسار، ومن تجمع وتفرق، ومن عزة وذلة وحياة وموت[1] وكلما اتسعت حضارة أمة، نمت لغتها وسمت أساليبها وتعددت فنون القول بها.

واللغات كالأمم والجماعات والحضارات والثقافات يتأثر بعضها بالبعض، وقد تتمازج وتنصهر فيما بينها. ولا أحد منّا ينكر أن اللغات تتداخل وتتلاقح كلما اتصلت إحداها بالأخرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأنّ أي لغة في العالم كما أنها تؤثر في غيرها، فإنها أيضًا تتأثر[2] وإنه من المتعذر أن تظل لغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى[3] ومظاهر التأثير والتأثر بين اللغات ينعكس على الصوتيات ومخارج الحروف والمفردات والأساليب والتراكيب اللغوية.

ومن أهم عوامل التداخل والتأثير والتأثر بين اللغات الصراع والانتصارات في الحروب والاستعمار وأيضًا المجاورة والاحتكاك والتجارة وعوامل الهجرات[4] ودائمًا يتفرع عن اللغة عدة لهجات وذلك يرجع لعوامل بيئية وجغرافية. وقد تقوى لهجة عن الأخرى أو لغة عن الأخرى لتخرج من الحيز المحلي إلى الحيز العالمي

---

(1) ليلى صديق: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، حوليات التراث (الجزائر – مستغانم)، العدد6/ 2006م، ص76.

(2) ليلى صديق: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، حوليات التراث (الجزائر – مستغانم)، العدد6/ 2006م، ص76.

(3) رمضان عبد التواب فصول في اللغة، متبة الخانجي،ط 3، القاهرة،1987م، ص258.

(4) ليلى صديق: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، حوليات التراث (الجزائر – مستغانم)، العدد6/ 2006م، ص76.

كالانجليزية حاليًا، وذلك يرجع في المقام الأول لعوامل اقتصادية وسياسية، وهكذا الحال في اللغات، فإن عوامل الألسن والأقلام، والتغلب والضعف، ومخالطة الأعاجم تفعل فيها أفعالاً عجيبة، بين حذف وزيادة، وقلب وإبدال، ونحت، وتصحيف وتحريف، وتغيير وتبديل، وما شاكل، فتحل محلها الرطانة الأعجمية، والطمطمانية العامية، حتى تكاد تذهب بالأصل أحيانًا[1].

فترى لذلك لغة العامة بعيدة عن الأم الفصحى بمراحل، حتى يصعب أحيانًا على علماء الاشتقاق (الفيلولوجيين) ردّ ألفاظها إلى نصابها[2]، فلهذا اشتغل فريق من العلماء قديمًا وحديثًا في إصلاح اللغة العامية، وردّها إلى الفُصْحى، والبحث عن أوضاعها، ومعرفة فصيحها من ركيكها، وصحيحها من فاسدها، وعربيها من دخيلها.

والمتأمل إلى اللغة العربية الفصحى يجد أنها في أساسها كانت عبارة عن عدة لهجات وفقًا للقبائل العربية وعرب الشمال والجنوب ولعوامل اقتصادية وثقافية ودينية تغلبت لهجة قبيلة قريش لرفعة مكانتها بين القبائل ووجود بيت الله الحرام بها. ومما أثرى وحافظ على لهجة قريش واللغة العربية الفصحى نزول القرآن الكريم بلهجة قريش، اللهجة العربية الفصحى، ثم الحديث النبوي علاوة على دواوين الشعر العربي ونثره، كل هذا حافظ على اللغة العربية كلغة عبادة وفي الحيز الرسمي من اللغة.

أما اللغة القبطية وهي المصرية القديمة والتي تكلم بها سكان وادي النيل منذ

---

(1) عيسى إسكندر المعلوف اللهجة العربية العامية بحلة المجمع – الجزء الأول ص350 – 368

(2) عيسى إسكندر المعلوف اللهجة العربية العامية بحلة المجمع – الجزء الأول ص350 – 368

ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادي، وعند دخول العرب مصر، وحدوث الاندماج والذوبان بينهم وبين العرب في شتى مظاهر الحياة وحتى في اللغة نفسها، وعندما ننظر إلى كلٍّ من اللغة العربية الفصحى والقبطية الأصلية غالبًا لا نجدهما سوى في النصوص الدينية والأدبية والعبادة والحيز الرسمي والعلمي.

أما اللغة من ناحية الواقع الفعلي فنجد لهجات متعددة (نجدية، نبطية، يمنية، شامية، بدوية.. إلخ).

أما اللغة المحلية التي يستعملها المصريون حاليًا فهي مزيج كامل من اللغة العربية واللغة القبطية وبعض الألفاظ من الفارسية والتركية واليونانية واللغات الأجنبية.

كل هذا وعبر مرور الزمن كوَّن ما يعرف باللغة العامية المصرية. وفكرة البحث في اللهجة العامية المصرية ليست وليدة العصر، بل فطن إلى اللهجة العامية علماء اللغة منذ فجر الحضارة العربية، ومنذ بدايات تهجين اللغة العربية وانتشار العامية.

وهاك لُمْعة الآن من تلك المؤلفات باختصار، تمهيدًا للبحث في لهجاتنا العامية، ومعالجتها لتصلح للكتابة، ولتعرف الأطوار التي مرت عليها.

فتقول مؤلفات القدماء في اللهجة العامية العربية[1]:

اللغة العامية كانت في العصور الأولى، لمخالطة الأعاجم العرب، ولكثرة لهجات القبائل، ولعوامل اللثغات والتصرفات ونحوهما، مما عندنا عليه أدلة كثيرة، سيأتي الكلام عليها في تاريخ اللغة العربية العامية، وما بقي فيها من القواعد

---

(1) عيسى إسكندر المعلوف اللهجة العربية العامية بمجلة المجمع – الجزء الأول ص350 – 368

اللسانية، وما هي عليه من الرطانة. ولهذا نجد اللحن في الكلام منذ القديم، والدخيل والمعرّب والمصحّف والمحرّف، مما ألف فيه اللغويون، سواء ما زالت مخطوطة أو مطبوعة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1- كتاب لحن العامة لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، المتوفى سنة (191هـ = 806م) طبعه الدكتور كرل بروكلمن (عن نسخة في خزانة كتب برلين في 16 صفحة) في برسلاو.

2- لحن العامة لأبي عبيدة، المتوفى سنة (209هـ = 824م).

3- لحن العامة لأبي عثمان بكر بن محمد المازني، المتوفى نحو سنة (248هـ = 862م).

4- لحن العامة لأبي حاتم السجستاني، المتوفى سنة (255هـ = 868م).

5- لحن العامة لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، المتوفى سنة (290هـ =902م).

6 - (رفع الإِصر عن لغات أهل مصر) ليوسف المغربي من أهل القرن العاشر الهجري، يبحث في لغة مصر العامية في زمنه. ونسخة المؤلف الأصلية بخطه في خزانة الجامعة الروسية. وهي من كتب الشيخ محمد عياد الطنطاوي[1]. ومنه قطعة في الخزانة التيمورية. وقد درس هذه النسخة ووصفها الأستاذ كرتشكوفسكي Kratchkovoski، المستشرق الروسيّ.

7- (القول المقتضب في ما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب)، تأليف:

---

(8) راجع مجلة المجمع، الجزء الأول ص355.

محمد بن أبي السرور الصديقيّ، من أهل القرن الحادي عشر للهجرة، منه نسخة في الخزانة التيمورية.

8- قصد السبيل، فيما في العربية من الدخيل لمحمد الأمين المحبي الدمشقي، المتوفى سنة (1111هـ = 1699م). رتبه على حروف المعجم، ووصل فيه إلى حرف الميم ولم يتمه، نسخ سنة (1193هـ = 1780م). في 250 صفحة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، في المدينة رقمه 98، ومنه نسخة في الخزانة التيمورية بالقاهرة.

9- (الأمثال العامية المصرية) لشرف الدين بن أسد، في أوائل القرن الثامن عشر، جمع منها ألف مثلٍ ومثلاً، فترجمها: بورخارت السائح الألمانيّ، بلغته عندما جاء مصر، في أوائل القرن التاسع عشر، وانتقد أمثال الرِّعاع لبذاءتها، وترجمت بعد ذلك باللغة الإنكليزية.

مؤلفات علماء العصر الحديث في العامية

كتب كثير من اللغويين من العرب والمستشرقين الكثير من الكتب والمقالات والدراسات، بل والمعاجم، ونشروا بعضها في رسائل على حدة ومن أشهر مؤلفاتهم:

1- معجم إلياس بقْطر القبطي وفيه من لغة مصر والشام والمغرب وتونس العامية، طبع في باريس سنة (1864م)، وفي مصر سنة (1289هـ = 1872م).

2- رسائل في العربية العامية لمحمد عياد الطنطاوي، مدرس العربية في بطرسبرج، المتوفى سنة (1871م)، طبع بعضها في ليبسيك سنة (1848م).

3- منظومة محمد إسماعيل الزجلية أظهر فيها تمازج العربية بغيرها من اللغات والعبارات الركيكة، طبعت في القاهرة سنة (1883م).

4- الصحيح، بين العامي والفصيح - للشيخ خليل اليازجي، المتوفى سنة (1889م) نشر إعلانه مطبوعًا في بيروت سنة (1885م) مع أنموذج من بحوثه، وفيه لهجتا سوريا ومصر، ولا يزال مخطوطًا.

5- اللغة العربية العامية في مصر والشام - لميخائيل الصباغ السوري، المتوفى سنة

(1816م)، طبع هذا الكتاب في ستراسبورغ سنة (1886م).

6- التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية - للسيد وفاء محمد، طبعت بالقاهرة سنة (1310هـ = 1892م) في 119 صفحة بقطع الثمن.

7- (الكلام الدارج بمصر القاهرة) بحث عرضه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد راشد، على أعضاء مؤتمر لندن في سنة (1892م). وذكر فيه كثيرًا من أزجال العوام، وألحانهم ومواوليهم وموشحاتهم وأدوارهم.

8- قاموس اللغة العامية - وضعه بالعربية والإنكليزية شكري إسبير، من موظفي نظارة المالية المصرية، سنة (1895م) (المقتطف 19: 939).

9- الألفاظ القبطية واللغة العامية المصرية - لأقلوديس لبيب المصري، جمعها سنة 1903م. وبلغ عددها 155 لفظة، انتقدتها مجلة المقتطف (28: 69) والهلال (8: 678 و715).

10- الألفاظ الإيطالية، في العربية العامية المصرية - لسقراط إسبيرو، نشر سنة (1904م) مع لفظ الكلمات العربية بأحرف إفرنجية، وقد طبع بالعربية والإنكليزية.

11- معجم اللغة العربية المصرية العامية لأحمد باشا تيمور، نشر منه أمثلة في مجلة المجمع العلمي في دمشق. (راجع مجلة الآثار 4 ص 40) وفيه تبسط في المباحث، وفوائد كثيرة تدل على سعة اطلاع المؤلف، وهو مخطوط.

12- اللغة القبطية - لجرجس فيلوثاوس عوض، طبع سنة (1916م) في 80 صفحة بقطع الربع، وفيه ألفاظ قبطية يستعملها المصريون بلهجتهم العامية.

13- تدوين اللغة المصرية العامية - لنلّينو (A. Nallino) الإيطالي طبع سنة (1900) في ميلانو.

14- كتاب اللهجة المصرية العربية العامية - لنفروتسكى الروسي (M. Nawrotsky) مدرس العربية والعامية في كلية بطرسبرج (لينين غراد)، وساعده بتدريس اللغة العامية في تلك الكلية الشيخ محمد عياد الطنطاوي المصري، المتوفى سنة (1871م) وأنشئ مكتب تدريس العربية العامية بالكلية المذكورة سنة (1854م) في حرب القرم الشهيرة.

14- (قواعد باللغة المصرية العامية) لفسك Fask الأميركي، وهي لكتابة اللغة العامية بحروف أوربية، وعنوانها بالعربية العامية، هكذا (أجرومية مصري مكتوبًا باللسان المصري ومعها أمثلة) ثم بالفرنجية.

15- (الأمثال العامية المصرية) بالعربية والإنكليزية تأليف: يوسف خانكي في مصر.

16- (مناداة البائعين في القاهرة وطنطا والقدس) بالحروف العربية واللاتينية، أما الترجمة والشرح فبالألمانية، طبعت في الدائرة الإسلامية نحو سنة (1920م).

17- (أغاني الأولاد ولغتهم في مصر الحاضرة) بالألمانية، والأغاني كتب

بعضها بالعربية وبعضها بحروف لاتينية مفسرة بالألمانية، طبعت في القاهرة سنة (1935م) في 74 صفحة بقطع نصف كبير.

ولنا وقفة تحليلية من الواقع الفعلي للغة التي نتعامل ونتكلم بها والتي تظهر فيها المؤثرات القبطية، وخاصة في بلاد الصعيد والفيوم والبحيرة، وذلك على مستوى الحروف ومخارج الأصوات والقواعد والتراكيب والأساليب.

* ففي العامية المصرية لا نستخدم أسماء الإشارة العربية (هذا، هذه، هذان، هذين، هاتان، هاتين، هؤلاء). بل نستخدم (دا، دي، دول) وهي لا تأتي قبل الاسم (هذا الولد) بل بعده (الواد ده) وفي الصعيد توضع هذه الأدوات قبل وبعد الاسم مثل (هي في دي الساعة دي) ودي الأسامي دي زي القبطي (باي، طاي، ناي) وتوضع قبل وبعد الاسم متل (في دا اليوم دا).

* لا نستخدم الأسماء العربية الموصولة (الذي، التي، اللذان، اللذين، اللتان، اللتين، الذين، اللاتي، اللائي)، بل نستخدم كلمة واحدة (اللي) وهي تقابل في القبطية أد، أو أدا وهي تصلح لأي جنس وأي عدد.

* لا نستخدم الضمائر الشخصية المنفصلة في اللغة العربية (أنا، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتنا، هو، هي، أنتم، أنتن، نحن، هم، هن) بل نستخدم (أنا، أنتَ، أنتِ، هو، هي، إحنا، إنتو، هما) وهي ترجمة لضمائر القبطية (أنوك، أنتوك، إنتو، إنتوف، إنتوس، أنون، أنتودان، أنتاوو).

* لا يوجد في اللغة العربية المضارع المستمر وهو موجود في القبطية فوضع له حرف «ب» ليعبر عن المضارع المستمر (هو بيشرب هي بتاكل).

* وفي النطق، تتبع العامية المصرية النطق القبطي يختفي حرف الثاء «ث» من العامية

المصرية ويتحول إلى تاء، وذلك لعدم وجوده في القبطية مثل اتنين، تلاته، تمانية، تعلب، يتمر، متبت، تارن تعبان، توم، توب، تلج، تَمَن، حرت، كتير، تور.

* يختفي حرف الذال «ذ» وحرف الظاء «ظ» ويحل محلهما حرف الدال «د» والضاد «ض» وذلك لعدم وجود هذه الحروف في القبطية:

ضّهر، ضَهر، دبانه، ديب، دبلان، داب، آدان، دبح، داق، ديل، أخد، ودن (أذن) جِدر دُّره، دراع، دقن، دكر، دهب، ندر، عدرا.

يتحول حرف القاف «ق» إلى ألف مهموزة (أ) في بحري وإلى «ج» جافة في قبلي. نماذج من قبلي وذلك لعدم وجود القاف في القبطية:

جال، جبل، جد، الجبلة، الجلب، الجميص، دجيج، داج.

في صعيد مصر توجد بعض المناطق التي تنطق الجيم دالاً (جرجا = دردا)، وهذا من تأثير بعض اللهجات القبطية.

أيضًا من الكلمات الموجودة في العامية القبطية وردت من القبطية:

حنطور: من حان هطور - حان (هان) أداة جمع نكرة، هطور جمع هطو بمعنى حصان، أي تعني أحصنة أو خيلاً.

برجالاتك: وتعني فرشح رجليك وجاءت من اللهجة الفيومية برج (فيرج - بحيري) وتعني يقسم يفرشح، يفرد، و«لاتك» (راتك - بحيري) أي قدميك. سباتي تعني سباط البلح.

سمسم = سمسم.

ملوخية = ملوخية.

بُن تعني البن اللي في القهوة.

تاتا تعني خطِّي.

واوا تعني ألَمًا ووجعًا.

باه = بح تعني خلاص خلص مافيش.

فلافل تعني ذات فول كثير – طعمية.

باي تعني خوفي.. يا باي يا خوفي.

فاشوش تعني عريانة... طلعت فاشوش.

ترابيزا تعني مائدة أكل.

خت تعني تخين – خط الصعيد.

لاكاك تعني كتير الكلام.

أوباش تعني ناس ملهاش لازمة.

فالوط تعني حمار.. عامل فيها فالوط.

خايب تعني حديث الصنعة.

وهذه الأمثلة تم نقلها عبر شبكة المعلومات الانترنت، حيث إنني لست من المتخصصين في اللغة القبطية، لكنني عايشت الألفاظ والمفردات بصعيد مصر والفيوم، وما ورد من ألفاظ ليس إلا للتدليل، فالألفاظ القبطية كثيرة في اللهجة العامية المصرية والموضوع في حاجة إلى الدراسات الميدانية وجمع الألفاظ ومدلولها اللغوي وردها إلى أصولها والبحث في الموروث الثقافي المصري والأدب الشعبي الممتد عبر التاريخ، وخاصة المدون باللهجة العامية، سواء في مصادره المطبوعة أو التي لا تزال مخطوطة.

العمارة الدفاعية في الأديرة المصرية..

حجاجي إبراهيم محمد

قبل الحديث عن العمارة الدفاعية لا بد من أن نذكر أن العمارة الدفاعية منها الديني وفيها المدني ومنها الدفاعي الذي سماه البعض خطأ العسكري وإن كنا نميل إلى أن نسميه لدى الإخوة مسيحيي مصر أقباطها الأصليين عمارة حمائية، لأن الناس في حالهم فعلوا ما فعلوا لحماية أنفسهم لا للدفاع عن أنفسهم كما هو الحال في العمارة الدفاعية الإسلامية أو العمارة الدفاعية التي استخدمها الفرنجة لا سيما ما تَحدَّث عنه فولفجانج مول.

وقبل حديثي أيضا لا بد من توضيح الرهبنة الموازية للتصوُّف، وتحديدًا لماذا لجأ الآباء الرهبان إلى الصحراء، ولماذا أحاطوا الأديرة بأسوار... علاوة عن تحديد منشآت الرهبنة وهي القلاية والمنشوبية والدير التي لدينا في العمارة التصوفية مثلها الرباط والخانقاه والتكيَّة، كما لا بد من الإجابة عن أيّهما أقدم، الرسوم الجدارية أم الأيقونات في تلك المنشآت، مع الإشارة إلى التجمُّع، إلى الشركة التي أسس نظامها القديس باخوم بغية الدفاع والتوحُّد الذي أسس نظامه الأنبا شنودة رئيس المتوحدين، كل هذا في إطار وضع له الأسس والنُّظُم القديس أنطونيوس بعدما كانت الرهبنة لعلاقة مع الأب الرب، ونعود للموضوع الأصلى وهو المسمى العمارة الدفاعية في الأديرة المصرية، إن جاز لنا هذا التعبير، فالعمارة الدفاعية تبدأ من قطاعات الأسوار العالية السميكة للدير، وسقاطات في الأماكن الضعيفة التي يسهل اقتحامها عرفت الواحدة باسم المطعمة، وأبواب مصفحة ومداخل منكسرة وممشى مراقبة وضفائر (ممرات) جانبية لا يعرفها أحد سوى الآباء الرهبان، وسراديب أخرى مفتوحة وأخرى مُغلَقة، وأديرة كانت بلا مداخل (في البحر الأحمر) والأديرة التي لها حصون في مصر أنواع، منها النوع الأول المتمثل في أديرة وادي النطرون كالسريان والبراموس وأنبا بيشوى وأنبا مقار، ومثلها دير المحرق في

القوصية، أما عن النوع الثاني فهو المتمثل في أديرة البحر الأحمر: (الأنبا بولا - الأنبا أنطونيوس)، ودير الفاخوري في إسنا والدير الأحمر (الأنبا بيشاي) في سوهاج.

أما النوع الثالث فهو في الواحات الخارجية على مقربة من البجوات، والآخر في أسوان.

تطور العمارة القبطية عبر العصور..

سامح عدلي

شهدت ستينيات القرن الأول الميلادي بداية الكرازة بالإيمان المسيحي لمصر على يد الكاروز الإنجيلي الشهيد مار مرقس، أحد التلاميذ السبعين للسيد المسيح له المجد، وبذلك تأسست كنيسة الإسكندرية وظلت تنمو وتزداد رغم الكثير من المشاكل والاضطهادات وظهور البدع والهرطقات.

وبحلول عام 313م أصدر الإمبراطور قسطنطين إعلان ميلان الشهير، الذي بموجبه صعدت المسيحية من تحت الأرض (الكتاكوم) إلى أن تكون ظاهرة للعيان، واستكمالاً لهذا المرسوم وفي أواخر عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير تم إيقاف الألعاب الأوليمبية ومنع العبادات الوثنية والتبخير للأوثان. بذلك أعطى المسيحية دفعة أكبر للانتشار العلني في كل ربوع الإمبراطورية التي انقسمت بعده إلى إمبراطورية غربية وأخرى شرقية عاصمتها القسطنطينية يملك عليها ابنه الإمبرطور أركاديوس، والتي كانت مصر إحدى ولاياتها. وبذلك يمكن أن نرى آثارًا مسيحية بصورة جلية بعد هذا التاريخ في كل ربوع الإمبراطورية الرومانية. أما قبل ذلك فكانت العبادات المسيحية تمارس إما كما سبق ذكره في السراديب السفلى للمدن والمقابر المنحوتة تحت الأرض، أو في المنازل كما كان الحال في ديورا إيروبوس (حاليا في سوريا).

كانت مصر إحدى أهم الولايات الرومانية ذات التاريخ العريق والحضارة التي استقت منها الحضارة اليونانية، وبالتالي الرومانية، لذلك عندما شرعت مصر في إقامة نوعية جديدة من أماكن العبادة تحتوي ممارسات العبادة الخاصة بالمؤمنين المسيحيين، لم يغب عن فكر مصممي هذه المستحدثات المدعوة كنائس عمارة الأجداد الفراعين العظام، الذين تركوا لنا آيات من المجد والفخار.

إيماءً إلى ذلك، نرى عمائر القرنين الرابع والخامس الميلادي ذات طراز بازيلكي (كلمة بازيليكي تعني ملكي) وهو الطراز المستمد من أصول مصرية قديمة - صالة تحتمس الثالث بمعبد الكرنك التي يطلق عليها (أخ مينو) وهي تتكون من صحن أوسط وممرين جانبيين - ومن الأمثلة الرائعة للطراز الكنسي القبطي البازيليكي الأول ديرا الأنبا شنودة والأنبا بيشاي بسوهاج (شكل رقم 1).

حيث نرى بوضوح امتزاجا رائعا للعمارة المصرية القديمة بالعناصر المعمارية الإغريقية الرومانية في تناغم، وذلك بإضافة التري - كونش للبازيليكا في النهاية الشرقية للمسقط الأفقي وتزيين الحنيات بما يسمى «Broken Gable Niches»، واستعمال أعمدة كورنثية بالصحن. أما الحوائط الخارجية فبنيت بميل إلى الداخل وانتهت بكورنيشة فرعونية محتوية بداخل شكل المستطيل الفرعوني المسقط الأفقي للتري - كونش، ووجود الممر الغربي بالصحن، مع استعمال أعمدة نخيلية بالحنية الشرقية.

هذا، ونجد بعض الأمثلة للطراز البازيليكي الذي يرجع تاريخه للقرن الخامس الميلادي كانت أكثر تأثرًا بالعمارة الرومانية من العمارة المصرية، منها بازيليكا أركاديوس بمطقة أبو مينا - على عكس الكنيسة الشمالية بذات المنطقة التي تعود للقرن السادس الميلادي - تميز المسقط الأفقي للكنيسة بشـــكل الصليب اللاتيني وبروز الحنية الشرقية للخارج مع عدم وجود ممر غربي بالصحن (شـــكل رقم 2).

وبازيليكا الأشمونين شمل التري - كونش منطقة الـــTransept بعد أن كان قاصرًا على الهيكل (شـــكل رقم 3). كما ظهر طراز آخر بالقرن السادس الميلادي وهو التترا - كونش، أي رباعي الحنايا بمنطقة أبو مينا أيضًا بالكنيسة الشرقية وكنيسة المدفن (شـــكل رقم 4).

وبمرور الزمن وصولاً للقرن السابع الميلادي بدأ الطراز البازيليكي يصبح قبطيًا خالصًا كما في بازيليكا الأنبا أرميا بسقارة وكنائس حصن بابليون مثل أبو سرجة والقديسة بربارة (شكل رقم 5). كذلك كنيستا الأنبا شنودة وأبو سيفين بالفسطاط (شكل رقم 6). ويتزامن مع ذلك بداية ظهور الخورس وتطوره من الكنيسة التي بجوار معبد هابو، وصولاً إلى اكتمال شكل الخورس المنفصل عن الصحن بحوائط ذات ثلاثة أبواب، وذلك بكنائس أديرة وادي النطرون وظل مستمرًا من القرن السابع الميلادي وحتى القرن التاسع الميلادي (شكل رقم 7).

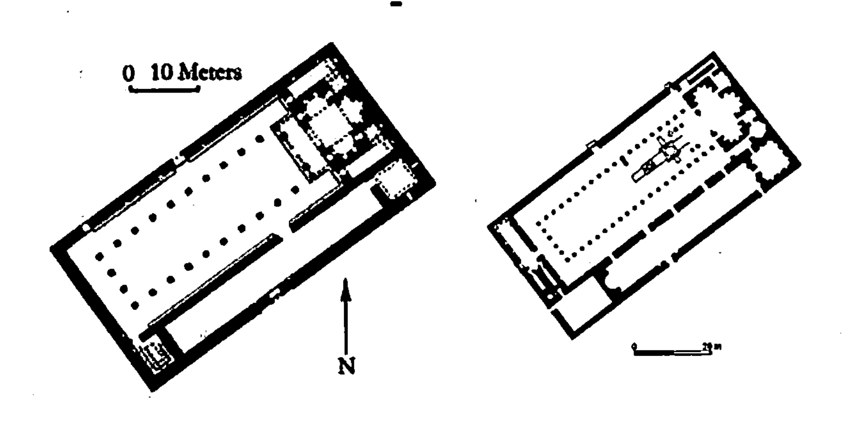
تطور آخر بدأ في الظهور من القرن الحادي عشر الميلادي حتى القرن الثالث عشر، وهو تقسيم صحن الكنيسة. كان الصحن في جميع البازيليكات السابق ذكرها مغطى بجمالونات خشبية وبعضها أعيد تغطيتها بأقبية من الطوب أو الحجر إلى فراغين متساويين أو شبه متساويين تغطيهما قبتان، مثل كنيسة دير الأنبا هدرا بأسوان ودير الشهداء بإسنا (شكل رقم 8).

بالوصول للقرن الخامس عشر الميلادي بدأ الشكل المستطيل للكنيسة في التراجع وأخذ المسقط الأفقي للكنيسة الشكل المستعرض الذي يمتزج فيه الصحن والخورس، ويغطي فراغيهما عدة قباب منخفضة وتتميز فقط القبة أمام الهيكل الرئيسي بكونها محمولة على أربع حنايا ركنية.

وفي بعض الأحيان قد تصل عدد الباكيات العرضية لهذا الطراز إلى سبع أو أكثر. كما هو الحال في كنائس أخميم، وقد ظهر متزامنًا مع الشكل المستعرض عنصر مضاف شرق الهياكل بكنائس أخميم وهو الضفير، مثال دير مارجرجس الحديدي بالعيساوية (شكل رقم 9). وظل هذا الطراز مستخدمًا حتى القرن الثامن عشر الميلادي، فنجده بكنيسة دير الأنبا بضابا بنجع حمادي وكنيسة دير

مارجرجس بالرزيقات بالأقصر (وجد طراز مستعرض آخر بكنيسة المغارة بدير السريان بوادي النطرون إلا أن الصحن والخورس شبه منفصلين ويغطي كلاً منهما قبو مدبب).

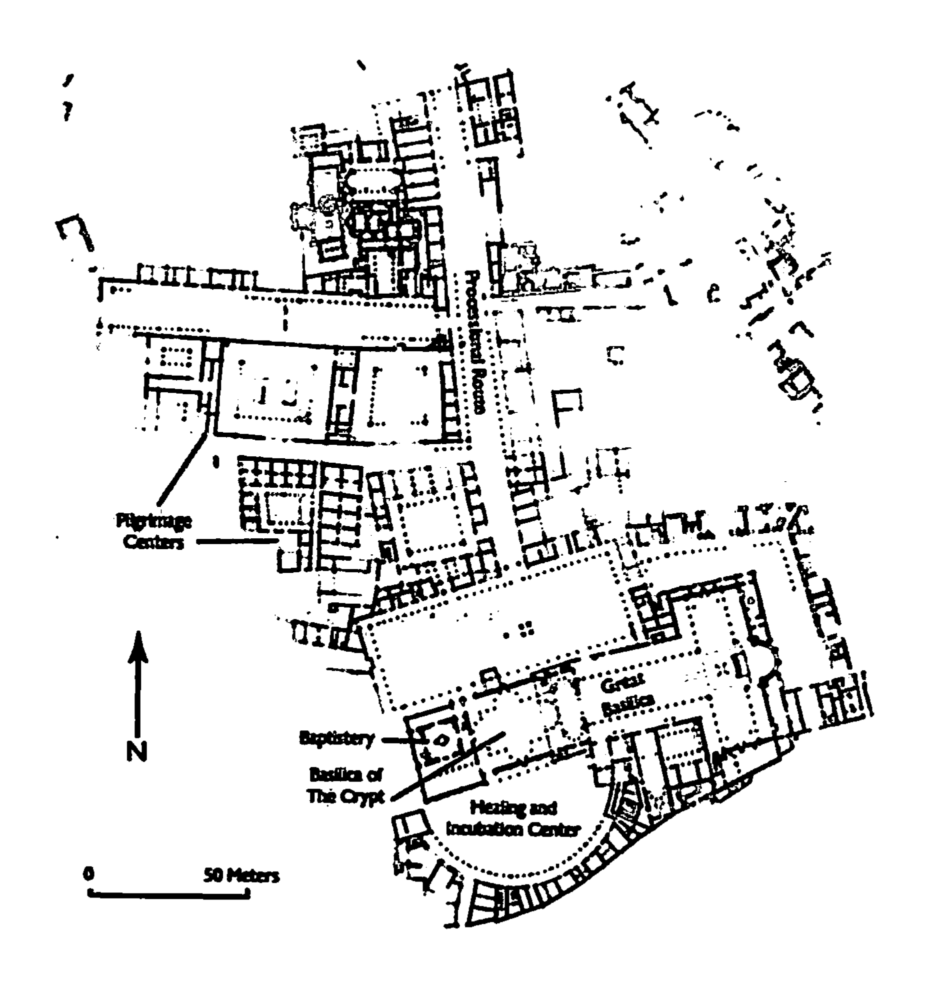
أما الطراز الأخير الذي سيتم تناوله فهو طراز القرن الثامن عشر - التاسع عشر الميلاديين، وهو الطراز الأضعف معماريًا، حيث اختفت الممرات الثلاثة التي تحيط بالصحن الذي قسم بدوره إلى ستة أو تسعة أقسام متساوية أو شبه متساوية، تغطيها قباب بسيطة غير متميزة في أغلب الأحيان، وخير مثال لذلك كنائس أديرة برية الأساس بنقادة.



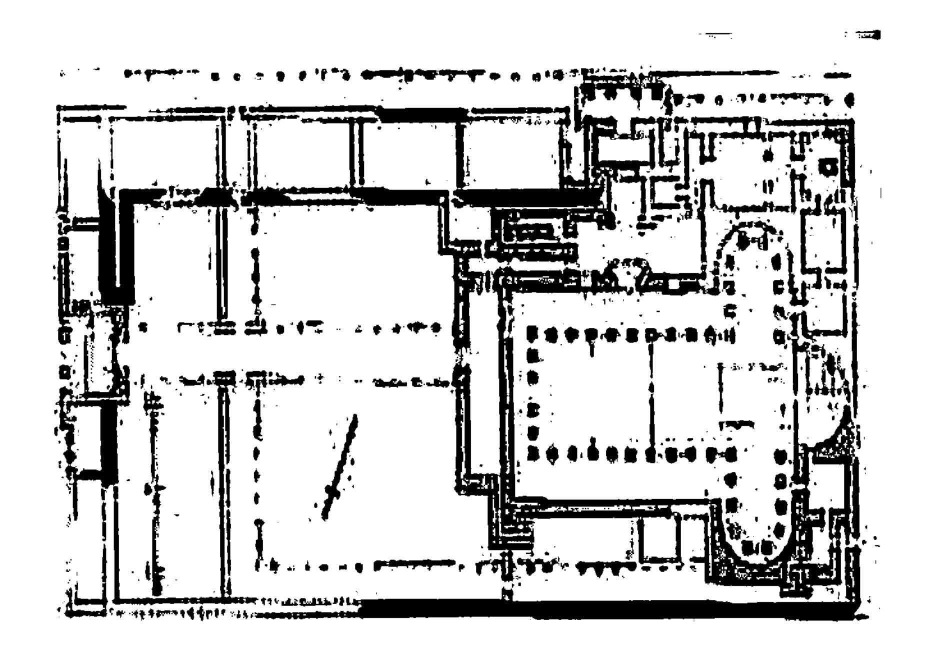
شـــكل رقم 1

يمين المسقط الأفقي للدير الأبيض.

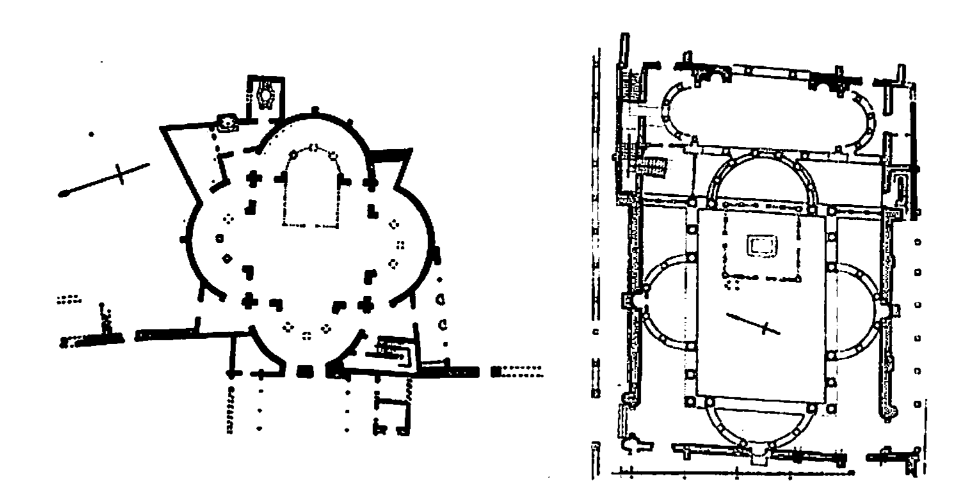
يسار المسقط الأفقي للدير الأحمر.



شكل رقم 2 دير أبو مينا



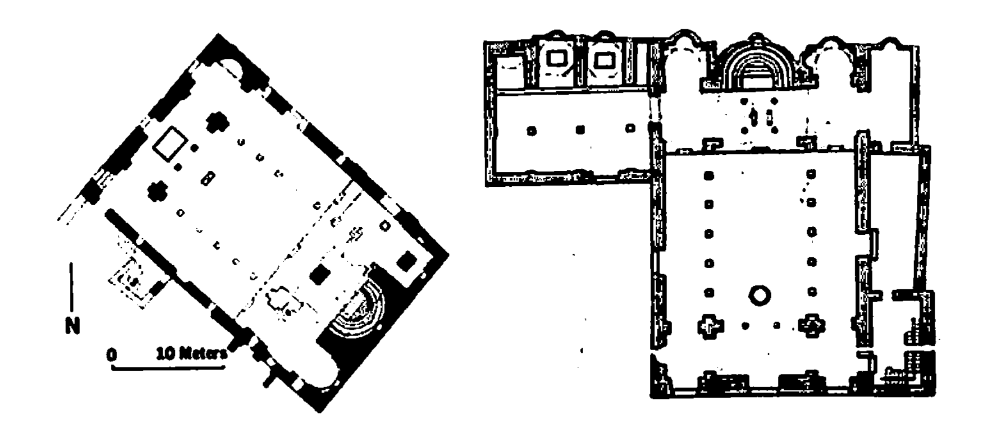
شكل رقم 3 المسقط الأفقي لبازيليكا الأشمونين



شـــكل رقم 4

يمين المسقط الأفقي لكنيسة المدفن بأبو مينا

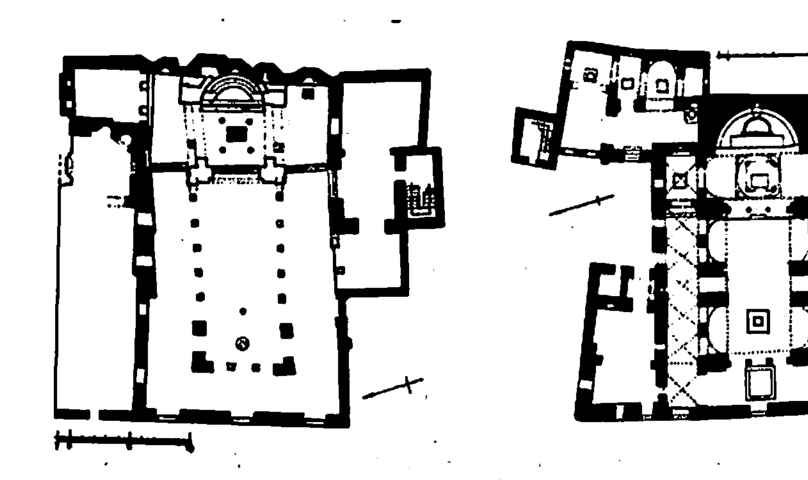
يسار المسقط الأفقي للكنيسة الشرقية بأبو مينا



شـــكل رقم 5

يمين المسقط الأفقي لكنيسة أبو سرجة.

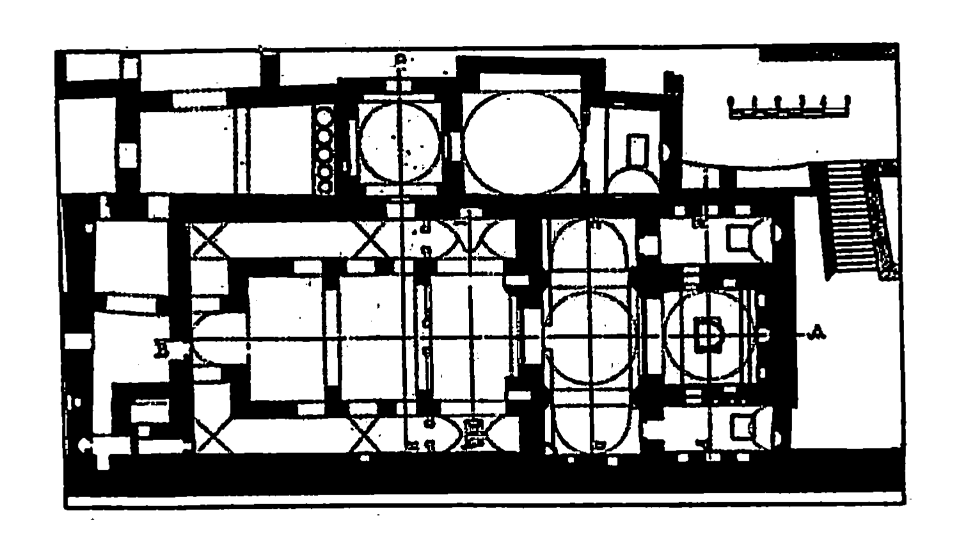
يسار المسقط الأفقي لكنيسة القديسة بربارة.



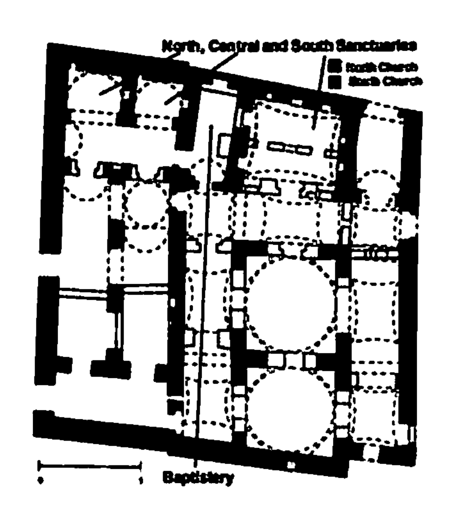
شـــكل رقم 6

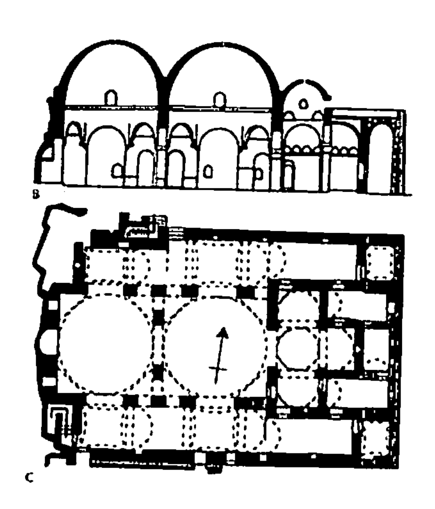
يمين المسقط الأفقي لكنيسة أبو سيفين

يسار المسقط الأفقي لكنيسة الأنبا شنودة



شكل رقم 7 المسقط الأفقي لكنيسة السيده العذراء بدير السريان بوادي النطرون

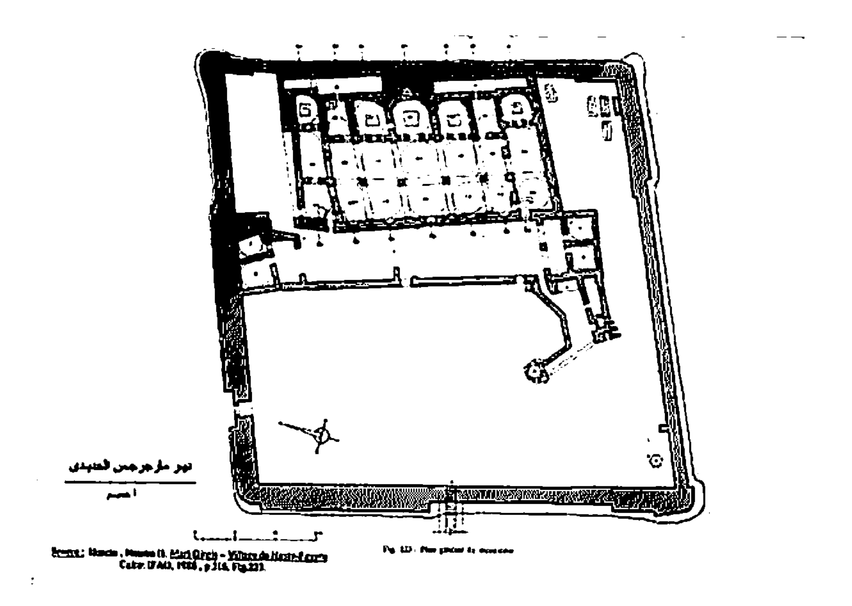




شــكل رقم 8

يمين المسقط الأفقي لكنيسة الأنبا هدرا بأسوان.

يسار المسقط الأفقي لكنيسة دير الشهداء بإسنا.



شكل رقم 9 المسقط الأفقي لدير مارجرجس الحديدي بأخميم.

التأثيرات المتبادلة في العمارة القبطية..

مرفت ثابت صليب

المقدمة:

نشأ الفن القبطي بداية من القرن الثالث الميلادي، وهو فن أنشأه الشعب دون دعم من الحاكم وقام الفن القبطي على التقاليد الفنية الموروثة من مصر القديمة، ولأن الفنون تتأثر بالظروف والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة، فقد بدأ الفن القبطي في القرن الثالث حين اتخذت مصر المسيحية دينا لها وازدهر الفن القبطي في القرن الخامس الميلادي حين انفصلت الكنيسة القبطية عن الكنيسة الإغريقية وأصبح الفن القبطي له طابعه المنفرد والمتميز عن فنون الحضارة البيزنطية والتي تعد أحد فروع الفن القبطي الذي ترجع جذوره إلى الفن الفرعوني، وظلت الصناعات والفنون هكذا في أيدي أصحاب البلد وقت الفتح العربي لمصر. وتطلعنا المصادر التاريخية على أن الصناع المهرة القبط تم إرسالهم إلى سوريا والشام لبناء المساجد أو لزخرفتها و لم يكن يعرب العرب شيئا عن العمارة لأنهم عرفوا بأهل الوبر (الخيام) والحضر منهم كانوا يعيشون في مبانٍ من الطوب اللبن أو الآجر، بينما وصلت العمارة القبطية إلى ذروتها وازدهرت، فنجد العناصر المعمارية التي عثر عليها وبقايا الأعمدة تشير إلى هذا الازدهار، وقد حول المسيحيون المعابد إلى كنائس واستخدموا عناصرها كالأحجار والأعمدة في كنائسهم، كما استخدمت أيضًا أعمدة الكنائس في بناء المساجد.

ومن هنا نجد أن الكنيسة والمسجد من أهم عناصر أي مدينة، وخاصة في القرية المصرية، واستمرت المباني كامتداد لسابقتها وأخذت منها عناصر متعددة، فنجد أن الفنون تأثرت يبعضها وأثرت في بعضها، فالفن القبطي والعمارة أم الفنون أخذا من سابقتها وتأثرت بالعمارة الفرعونية والبيزنطية.

كما أثرت العمارة القبطية في العمارة الإسلامية.

أولاً: تأثير العمارة الفرعونية على العمارة القبطية

نهضت العمارة القبطية بروح الفن الفرعوني في الآتي:

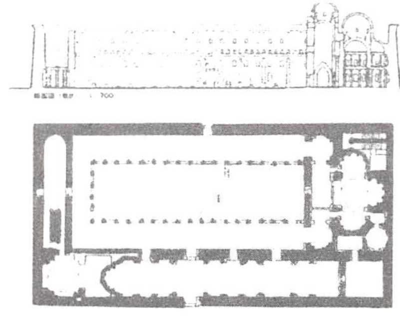
* اللغة القبطية هي امتداد للغة الهيروغليفية وآخر مرحلة من مراحل تطور اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية - الهيراطيقية - الديموطيقية - القبطية).

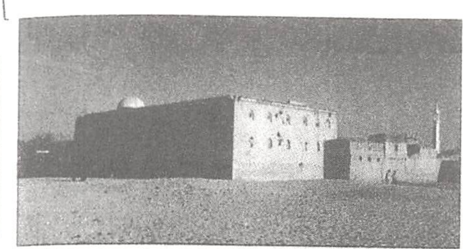
1- أخذت الكنيسة في شكلها الخارجي شكل المستطيل الفرعوني (شكل1).

2- الحوائط المائلة للداخل كما في كنيسة الدير الأبيض بسوهاج (شكل2).

3- استخدم الكورنيش الفرعوني ولكن في أبسط صورة في نهاية المبنى.

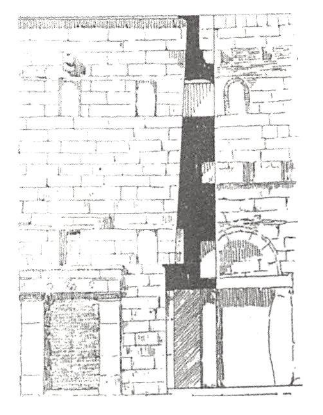
4- المدخل المنكسر كما في تل العمارنة لحماية المدخل المحوري وكذلك العمارة الإسلامية تميزت بالمداخل المنكسرة للحماية والخصوصية وهي مأخوذة من العمارة القبطية، كما في كنائس دندرة والواحات.

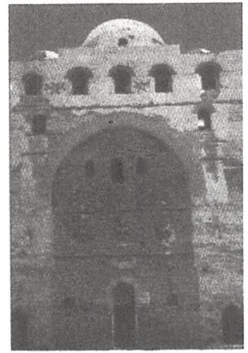




(شكل1)

الحوائط المائلة والكورنيش والبناء داخل مستطيل كما في المعبد الفرعوني.





(شكل2)

شكل قطاع الحائط في دير الأنبا شنودة (الدير الأبيض بسوهاج).

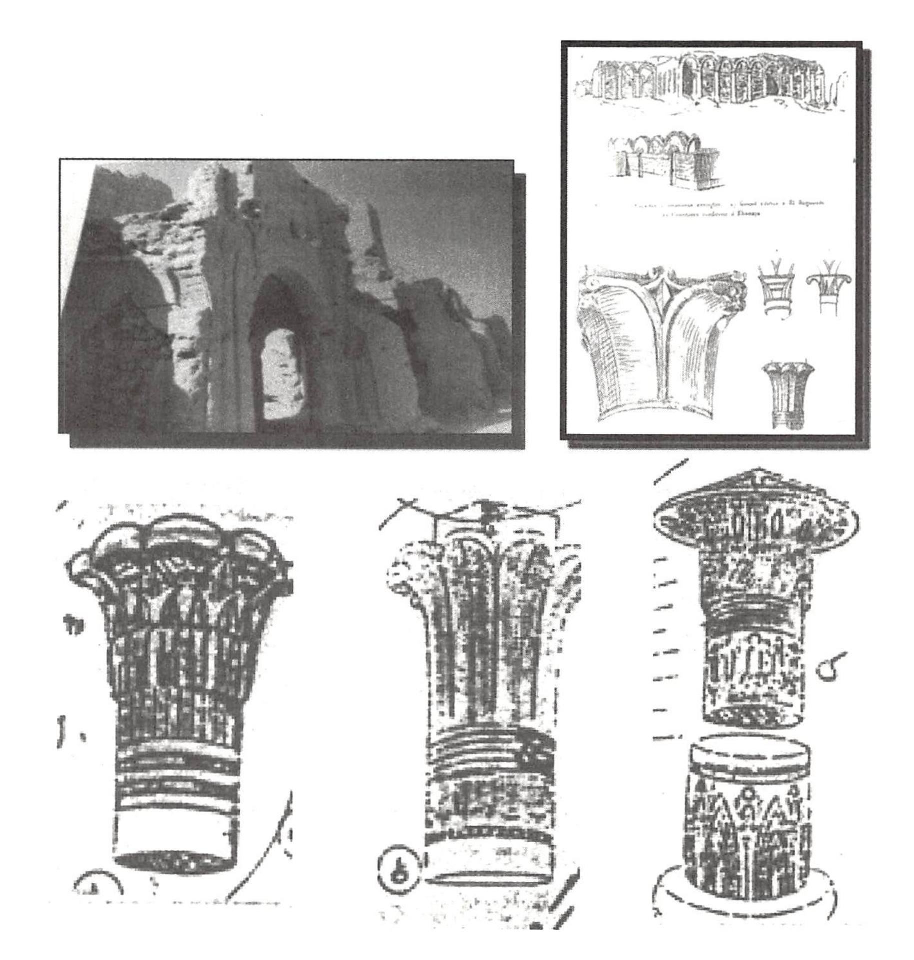
5 - استخدام زخارف نباتية بسيطة في تيجان الأعمدة قد تكون بدائية الشكل وتتشابه مع التيجان النباتية في العصور الفرعونية بالنخيل والبردي (شكل3).

6- تشابه المسقط الأفقي للكنيسة والمسقط الأفقي للمعبد كما في معبد أبو سمبل والحنيات الثلاثية بالدير الأبيض والأحمر وكذلك البيوت الطولونية بالفسطاط في العصر الإسلامي (شكل4).

7- الأعمدة في بداية تجويف الحنيات بالكنيسة وشواهد القبور كما في دير أبو حنس وهي مأخوذة عن العمارة الإغريقية والرومانية (شكل5).

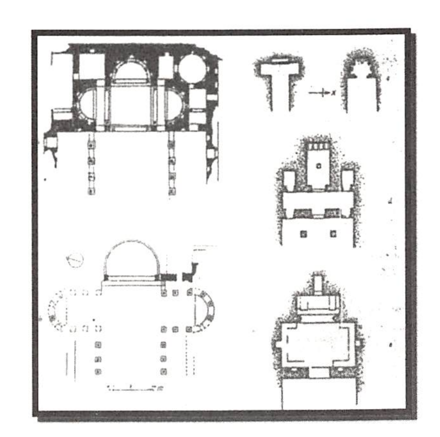
8- استخدام السلالم كما في بافليون نارمر ووجدناه في الأنبل أو كرسي العرش في دير أرميا بسقارة (شكل6).

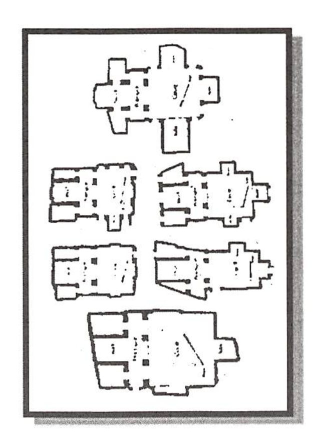
9- وجود فراغ حول الهيكل أو ممر كما في معبد إدفو وكنائس أخميم بصفة عامة تستخدم الضفير أو الممر خلف الهياكل (شكل7).



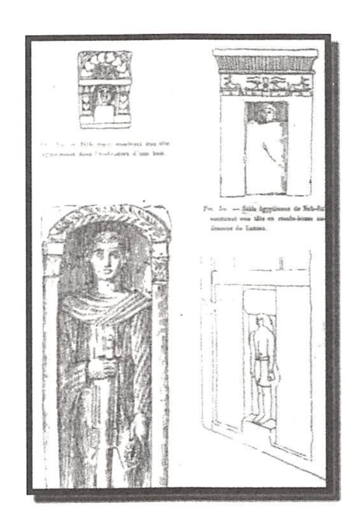
(شكل رقم 3)

تيجان الأعمدة القبطية مأخوذة عن الأعمدة في العصر الفرعوني كما في البجوات.





(شكل4) الحنيات الثلاثية عبر العصور الفرعونية والقبطية والإسلامية.

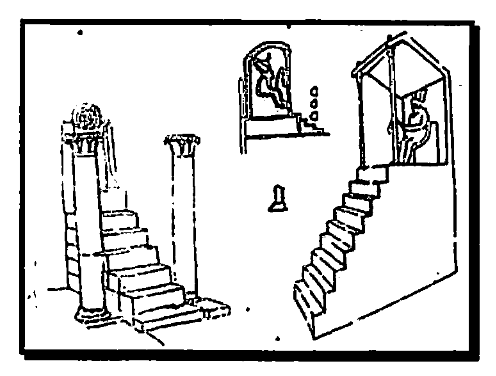


(شكل5) الأعمدة في بداية تجويف الحنيات في المصري القديم والقبطي.

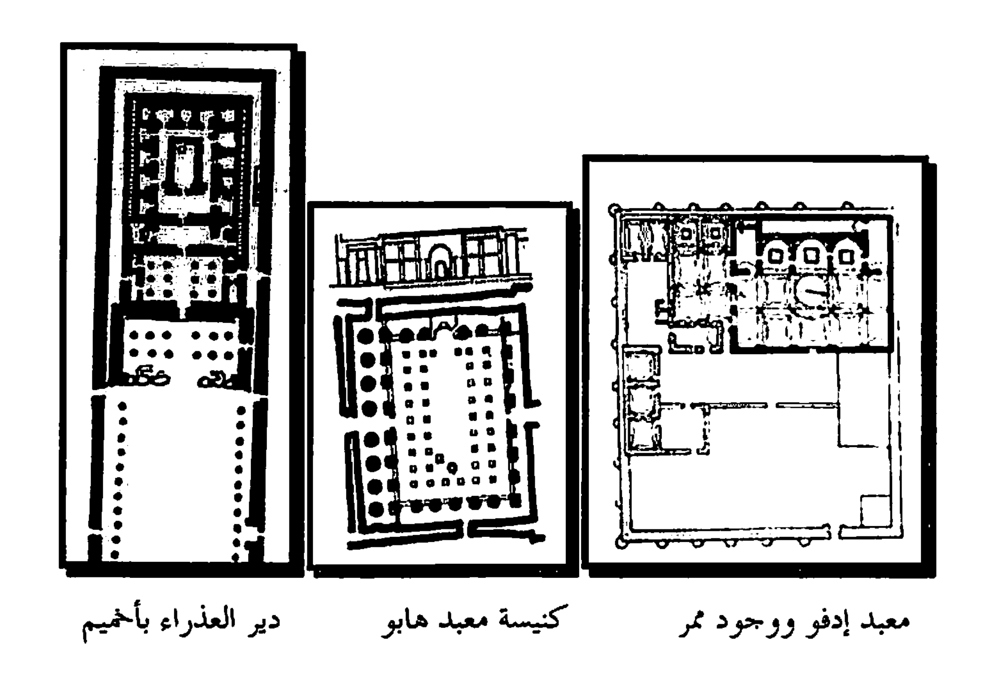
مما سبق نجد أن المصري ورث عن أجداده الفراعنة اهتمامه الكبير بمعتقداته الدينية وتغلغلها في النفوس، لذا كانت دراسة العمارة القبطية تتركز على المباني الدينية من كنائس وأديرة وقليل من المباني كالقاعات والمنازل. كما ورث الأقباط

بعض الألحان والموسيقى، وكذلك اللغة القبطية التي تعد آخر مراحل تطور اللغة المصرية القديمة المكتوبة بحروف يونانية، أما في المباني فلهم طابعهم المتأثر بعمارة القدماء المصريين في الشكل الخارجي، أما التصميم الداخلي فيقترب بالأكثر إلى البازيليكا لأن المصريين عاشوا في ظل الحكم الروماني أكثر من ثلاثمائة عامن ولم تكن هناك كنيسة قائمة قبل عصر الإمبراطور قسطنطين وصدور منشور التسامح الديني في القرن الرابع الميلادي.

لذلك استخدم المصري القبطي المعابد الفرعونية للصلاة وطوعها وحولها إلى كنائس داخل المغارات وفي الجبال كما في دير الجنادلة واستخدم أجزاء من المعابد وشيَّد بداخلها الكنائس (شكل8).



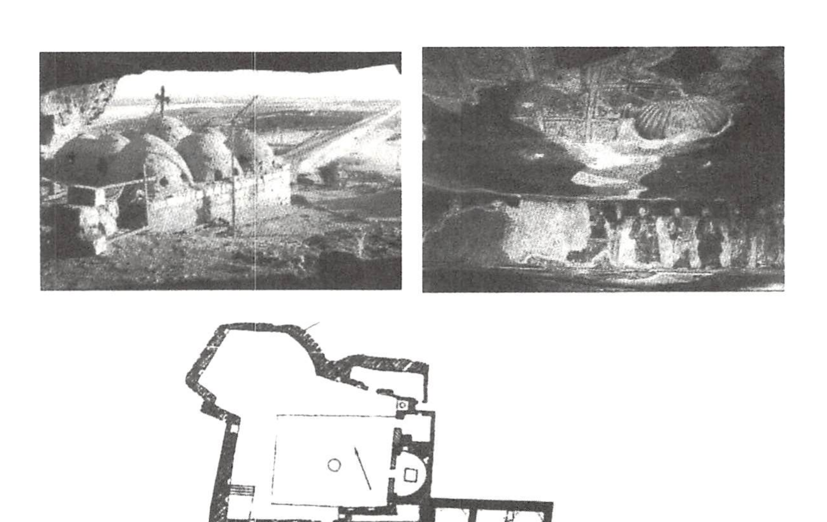
(شكل6) بافليون نارمر وفي المقابل كرسي العرش بدير أرميا بسقارة.



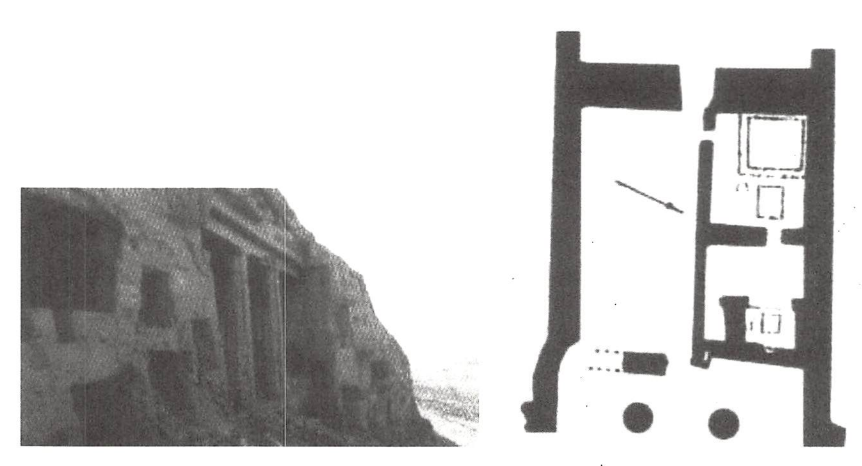
دير العذراء بأخميم   كنيسة معبد هابو   معبد إدفو ووجود ممر

(شكل رقم 7) استخدام الممر الخلفي الضفير في المعبد وفي الكنيسة

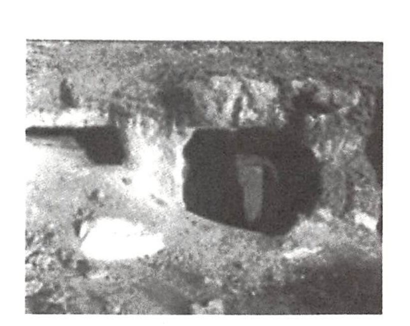
- وجد القبطي المصري أن البازيليكا الرومانية هي أنسب مبنى يمكن تحويله إلى كنيسـ لما لها من تصميم يناسب طقوس الكنيسة القبطية، وتميز كل عصر بعناصر مختلف الآخر بالرغم من تمييز كل عصر بعناصر واحدة فإن كل كنيسة لها طابعها الخاص وقبابها المميزة لها وفي بادئ الأمر كان هناك معتقد أنه لا يوجد فن قبطي مسـ وأول من لاحظ استقلال الفن القبطي العلامة ماسبيرو ومن بعده بتلـر وكـ وإيفلين هوايت وغيرهم آخرون بالرغم من أنه ظهر في القرون الثلاثة الأولى متشـ مع الفن البيزنطي اليوناني.
- ويعد الفن القبطي فنا من إنتاج الشعب وللشعب، و لم توجهه الدولة، واستمر حـ بعد الفتح العربي، وكنيستنا القبطية تعد كنيسة تعليمية رمزية شعبية.

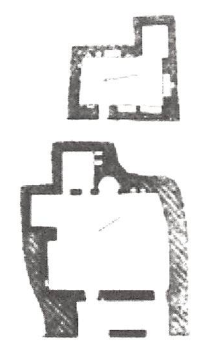


(شكل8) دير الجنادلة بأبي تيج داخل معبد من العصر اليوناني الروماني



(شكل8) دير ريفا بدرنكة بأسيوط داخل معبد فرعوني.





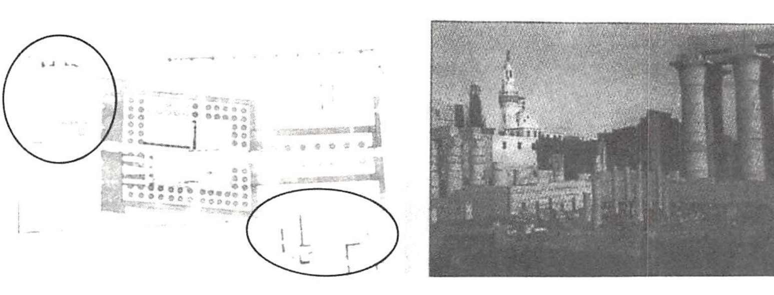
(شكل8) مغارات الشيخ سعيد جنوب البرشا بالمنيا – مقابر فرعونية.



الكنيسة بآثار دنـــــدرة

(شكل8) حنية كنيسة داخل معبد دندرة

بالإضافة إلى التأثر بالزخارف البيزنطية مثل القوقعة.

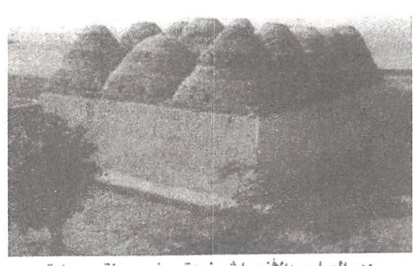


(شكل8) مجموعة كنائس حول وداخل معبد الأقصر.

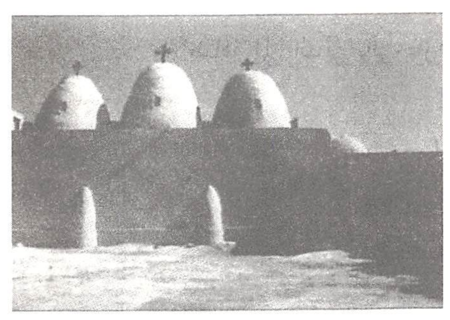
تأثيرات العمارة القبطية على العمارة الإسلامية:

1- القباب:

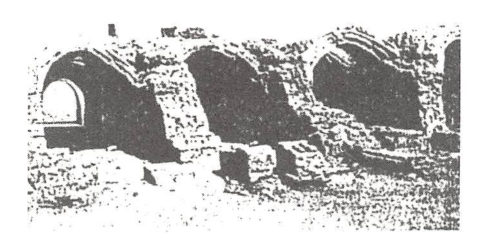
يرجع بعض العلماء نشأة القبة **إلى** المصريين القدماء، حيث ظهرت في مقابر سنب بالجيزة (قبة من الطوب اللبن على مربع من الحجر). وظهر بها أول مثلث ركني. وغيرها من القبوات المصنوعة من الطين في الرامسيوم ومقبرة ميرا بدندرة. مقبرة أبيدوس ق 12 ق.م. مقبرة طيبة في الدولة الحديثة. ووجدنا أن القباب أخذت نفس النسب تقريبا ونفس الشكل المخروطي.



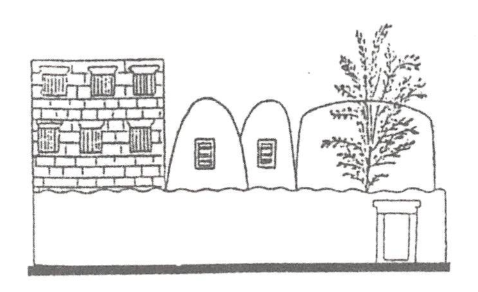
دير الصليب والأنبا شنودة - غرب نقادة



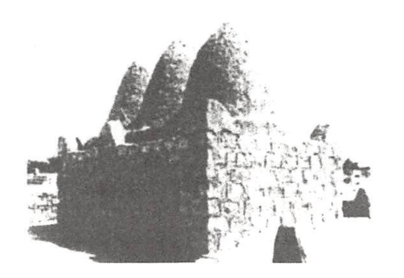
قباب كنيسة العذراء بالمعادي وقباب دير الصليب بنقادة.



مخازن الغلال بالرامسيوم - الأسرة 19.



نقش فرعوني لأحد المنازل الريفية وشكل القباب المخروطية.



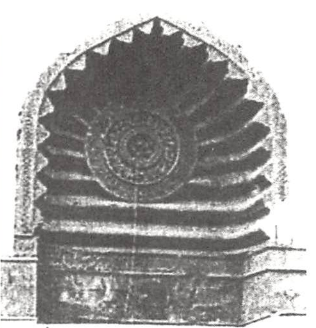
قباب بجبانة إسلامية بأطفيح.

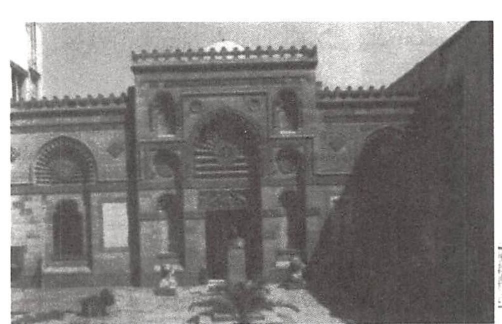
2- الواجهات الخارجية:

نجد تشابهًا كبيرًا بين عقد واجهة مدخل المتحف القبطي، وقد أنشئ عام

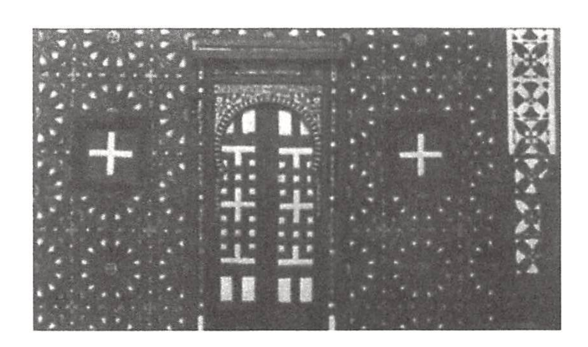
1910م، وكذا هناك عقد واجهة مدخل جامع الأقمر، وهي من العصر الفاطمي.

معالجة الأركان الخارجية ظهرت في كنيسة دير الميمون ببني سويف، وكذا في جامع الأقمر وهي عبارة عن شطف للحوائط كمصد وحماية وظهر في القرن الرابع بالكنيسة الأثرية.





تشابه واجهتَي المتحف القبطي وجامع الأقمر



حجاب دير الملاك بملوي

3- الزخارف:

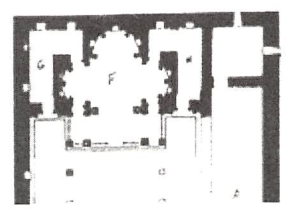
ترجع الزخارف بالكنائس إما **إلى** أصول مصرية قديمة أو بيزنطية متطورة من الزخارف الرومانية والإغريقية، ونجد زخارف الأخشاب في الأحجبة والأبواب

مثل الأطباق النجمية أو المونوجرام المستخدم في الأحجبة، والذي طوره المسلمون وعرف بالعربيسك أو الأرابيسك - كما أن مدخل الهيكل بدير السريان وزخارفه تشبه زخارف العصر الساساني، وكذا زخارف جامع سمراء.

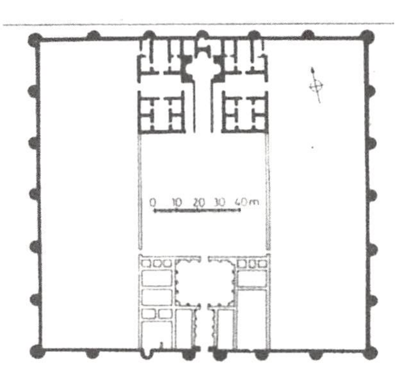


زخارف بهيكل دير السريان

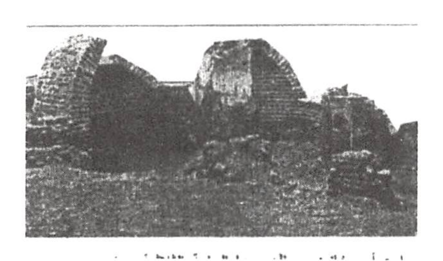
4- **الحنية الثلاثية**: ظهرت أولاً في العصر القبطي في القرن الخامس.



حنية ثلاثية بكنيسة معبد دندرة - القرن الرابع.



قصر المشتي بالأردن -- القرن الثامن.



أطلال بمدينة الفسطاط لحنية ثلاثية.

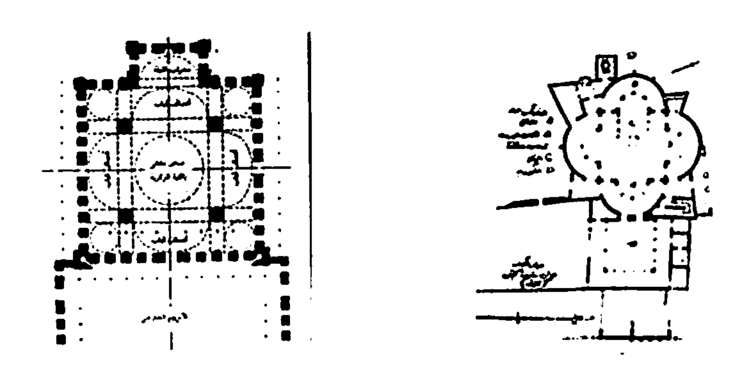
5- الحنية (المحراب)

وهو من العناصر القبطية التي انتقلت للعمارة الإسلامية و لم يكن معروفا قبل عمر بن عبد العزيز، وهو الذي أوجد المحراب المجوف حينما أعاد بناء مسجد الرسول وجدده.

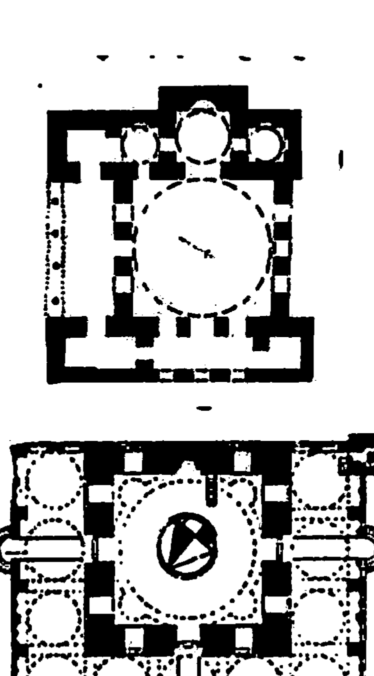
6- شكل المسقط الأفقي

تشابه المسقط الأفقي في العديد من المباني، فنجد نموذج الحنيات الرباعية (تتراكونش) في كنيسة مجموعة أبو مينا بمريوط، وهي طراز بيزنطي، كما وجدت أيضا في مسقط مسجد محمد علي بالقلعة، وهو متأثر بالعصر البيزنطي.

كما أن مسجد سنان باشا تشابه في شكل المسقط مع كنيسة طوخ دلكة ويتضح التقارب في الملامح.



كنيسة بدير مار مينا مسجد محمد علي بالقلعة.



كنيسة طوخ دلكة ومسجد سنان

وفي النهاية نجد أن هناك العديد من أوجه التشابه بين العمارة القبطية والإسلامية والتأثير والتأثر بين العمارة الفرعونية والقبطية والإسلامية ومنها:

1- الحنية. 2- الأعمدة والتيجان.

3- الحنية الثلاثية. 4- الواجهات.

5- القباب. 6- الزخارف.

7- المنبر أو الأنبل في العمارة القبطية.

8- شكل المسقط الأفقي. 9- المنارات والمآذن.

10 - المغطس والميضأة. 11- القمريات.

12- شكل الفتحات والشبابيك الجصية وأعمال الخرط والأخشاب.

13- العقود. 14- أعمال الزجاج.

15- الفخار وصناعة الأواني. 16- الأعمدة.

17- النسيج. 18- المداخل المنكسرة.

وهناك عديد من المجالات التي يمكن أن يبدأ الباحثون في العمل عليها من خلال أبحاثهم التي تثري فن العمارة والفنون الأخرى.

***

المراجع:

1- كمال الدين سامح «العمارة في صدر الإسلام». مطبعة مصر 1964.

2- زكي محمد حسن «بعض التأثيرات في الفنون الإسلامية».

3- فريد شافعي «العمارة الإسلامية في مصر» جـ1.

4- إسكندر بدوي «الفن القبطي والتأثيرات الفرعونية».

5- الأنبا صموئيل «القبة القبطية».

6- أحمد فخري «الصحراء المصرية - جبانة البجوات» مشروع المائة كتاب.

الرهبنة القبطية وأثرها على العالم..

القس يسطس الأورشليمي

تعتبر الرهبنة القبطية في مصر هي النهر الذي استقى منه نساك العالم أسس وتعاليم الحياة النسكية في كل المسكونة. وقام الرهبان المصريون بنشر الحضارة المسيحية والرهبنة في بلاد العالم المختلفة. ومن هنا جاء الارتباط بين الحضارة والرهبنة المسيحية بصفة خاصة. وكما كان للرهبنة القبطية دور كنسي في مصر وكان لها دور كرازي خارج مصر وكان لها أيضا دور حضاري داخل مصر وخارجها.

فالأقباط هم أبناء الفراعنة العظماء أصحاب الحضارة والتاريخ والثقافة والعلوم والفنون والأدب حفظة هذا التراث من خلال مكتبة الإسكندرية ومن خلال جامعتها اللاهوتية (مدرسة الإسكندرية) الشهيرة التي انتقلت بعد الخلاف الخلقيدوني إلى برية شهيت، فصارت برية شهيت مركز الحضارة العالمي والمصري أيضا والذي أضاء كورة مصر. ومن مصر أضاء المسكونة ونشر الرهبان الأقباط الحضارة مع المسيحية والرهبنة في بلاد العالم المختلفة. ومن هنا جاء الارتباط الوثيق بين الحضارة والرهبنة المسيحية بصفة خاصة، حتى إن الرهبانيات والأديرة التي أسسها الأقباط في جميع بلاد ودول العالم كانت هي مراكز الإشعاع الروحي والثقافي والحضاري والعلمي للبلاد الموجودة بها، وإلى الآن، فليس غريبا أن نسمع أن كثيرين من العلماء كانوا رهبانًا لهذا يحفظ العالم كله هذا الجميل للأديرة والرهبان في صور التكريم والتبجيل للرهبنة والحضارة، أي مصر خاصة.

وعلى المستوى القومي كان قادة المجتمع يأتون من الأديرة كمعلمين أو رعاة أو أساقفة أو بطاركة وكانوا ينقلون العالم والحضارة من الأديرة إلى المجتمع، فليس غريبًا أن نرى أن المدارس انتشرت في مصر والسودان والحبشة وأورشليم على يد الأقباط، رهبانًا أو شمامسة ومعلمين، وما الكتاتيب المصرية الملحقة بالمدارس في

جميع أنحاء البلاد إلا صورة فعالة من صور نشر الحضارة الإنسانية والثقافية والعلوم لتصل إلى أعماق الأرياف ولتغطي جميع البلاد حتى الأطراف المترامية والواحات البعيدة، وكأنها النيل يغطي بماء فيضانه جميع الغياض. وكانت هذه المدارس والكتاتيب هي شعلة الحضارة الوحيدة في مصرنا العزيزة وفي الدول المجاورة أيضًا، وكانت هذه الشعلة تستمد زيتها من العطاء الحضاري المتدفق من الأديرة القبطية عبر العصور وإلى الآن. ويكفي أن نعلم أنه خلال قرون كثيرة لم يكن في مصر سوى المدارس القبطية والأديرة كأداة تعليم وطنية قوية وفعالة حتى إن أحد الولاة طالب بابا القبط بأن يغلق إما الكنائس وإما المدارس الملحقة بها، فاختار البابا أن تغلق الكنائس ويبقى على المدارس!! فاندهش الوالي من حكمة البابا القبطي وحبه للعلم والتعليم وترك له المدارس والكنائس معًا.

وكان الأقباط يتفانون ويتسابقون في التعليم ونشر الحضارة داخل وخارج مصر لحبهم للعطاء، كما يسارع النيل بنشر الماء والخير والثمار، وكان الوزراء والكتاب والفنيون والمهندسون والأطباء والصيادلة وغيرهم من أقباط مصر في خدمة مصر وحكومة مصر وملوك مصر وبلادهم العزيزة مصر عبر العصور في مصر وخارجها، حتى إلى عهد قريب كنا نسمع أن جميع الوزراء في السودان والحبشة يتخرجون في المدارس القبطية الكبرى فيها وفي القاهرة تخرج في مدرسة الأقباط الثانوية الكبرى (بكلوت بك) أربعة رؤرساء وزراء خلال فترة زمنية قصيرة قبل قيام ثورة 1952، وهم بطرس باشا غالي، يوسف وهبة، عبد الخالق ثروت، حسين رشدي. وكانوا جميعًا أمثلة للعلم والمعرفة والعطاء والوطنية الصادقة؛ لأن المدارس القبطية صارت صروحا للقيم وللحضارة والعلم والوطنية والأخلاق في آن

واحد، وكما كان آباؤنا روادًا للمعرفة والحضارة كانوا روادًا للمدنية أيضا. فالبابا كيرلس الرابع 110 هو أول من أنشأ مدرسة عليا ثانوية للبنات في حارة السقايين، وكان رائدًا في تعليم البنت وتحضر المرأة، وهو أول من أحضر مطبعة إلى مصر (بعد نابليون بونابرت). وهذا يدل على شغف الأقباط وباباواتهم بالعلم والحضارة والمدنية.

وكانت الأديرة منارة للعلوم والفنون والتكنولوجيا والمهن، فكان الأقباط يتعلمون في الأديرة الكيمياء، وخاصة كيمياء الألوان والصباغة وأحبار النساخة، كما كانوا يتعلمون النساخة والنجارة وصياغة الذهب وتفريغ الزجاج والفخار والنسيج والهندسة، وما زالت آثار هذه الصناعات ومصانعها موجودة في أطلال بعض الأديرة إلى الآن.

وحينما يتقن القبطي إحدى هذه المهن في الدير يعلمها لباقي المواطنين في المجتمع المصري المشهور بوحدته الوطنية التاريخية، لذلك أصبح من الشائع في مصر في فترة ما أن يلقب القبطي عامة (بالمعلم) أو (الرئيس) مثل الرؤساء العشرة الأقباط الذين استشهدوا أيام الحاكم بأمر الله في أبريل عام 1003 (سنكسار 19 برمودة)، ومثل المعلم إبراهيم الجوهري رئيس الكتاب الشهير أيام محمد علي، وأخيه المعلم جرجس الجوهري، وكذلك المعلم ملطي كبير القضاة، والمعلم مشكور، والمعلم أبو منصور، مهندسا قلعة صلاح الدين، والمهندس الشهير الذي اخترع الماكيت للمنشآت قبل بنائها، والذي بنى جامع أحمد بن طولون والمهندس الذي بنى القناطر الخيرية. وغيرهم كثيرون ممن خدموا الوطن بعلمهم وفنهم وأمانتهم.

الأراضي المقدسة

وكانت الأراضي المقدسة أول البلاد التي ارتوت من هذا النهر، حينما أتى **القديس إيلاريون** مؤسس الرهبنة في الأراضي المقدسة إلى مصر، وتتلمذ على يد القديس أنطونيوس الكبير (أبو الرهبان) في البرية الشرقية. وصار إيلاريون بكر الرهبنة في الأراضى المقدسة ومؤسسها، وإلى حد كبير تأثر إيلاريون بمعلمه وأبيه الروحي القديس أنطونيوس الكبير، فنجد أنه بينما عاش القديس أنطونيوس عشرين عامًا متوحدًا في مغارته، هكذا عاش القديس إيلاريون متوحدًا اثنين وعشرين عامًا لم يتخذ فيها تلميذًا، وأيضًا قد تدرج في النسك مثل معلمه طيلة فترة حياته، وتأثر أيضا بمعلمه فلم يكسر نذر توحده إلا حين رأى العقيدة الإيمانية في خطر، فترك البرية ونزل ليرد الضالين ويكتسب إلى المسيح قطيعًا جديدًا من القبائل الوثنية واقتدى بمعلمه في هروبه من المجد الباطل فأعطاه اللــه كمعلمه أنطونيوس موهبة صنع الآيات والعجائب والشفافية والتدبير الروحي تتبعه حيثما ذهب. في الحقيقة كان القديس إيلاريون بكر الأنبا أنطونيوس في الأراضي المقدسة، وبذلك انتقلت الرهبنة القبطية بمبادئها الأصيلة إلى الأراضي المقدسة بفضل القديس إيلاريون تلميذ الأنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة، وأتى بعده بروفريوس الذي تتلمذ على آباء برية شيهيت، وتعلم منهم أصول الحياة الرهبانية والنسكية، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأراضي المقدسة وكوَّن جماعة رهبانية، وصار فيما بعد أسقفًا على غزة، وكان له الفضل في تبشير القبائل الوثنية في تلك البلاد بعد القديس إيلاريون.

ويعتبر **الراهب هيلاريون** الذي من غزة (ولد عام 291م) من أوائل مؤسسي الرهبنة في فلسطين، وقد تعلم في الإسكندرية، حيث اعتنق المسيحية وتتلمذ على يد القديس أنطونيوس، ثم عاد إلى فلسطين (غزة) وأسس الجماعات الرهبانية المعروفة (بأبناء وبنات القيامة).

ثم بعد ذلك جاء إليها نساك من أوربا مثل **روفينوس وميتلانيا** بعد أن زارا مصر وعاشا بها سنتين وعاشا مع الرهبان الأقباط ونقلا النظم الرهبانية إلى الأراضي المقدسة كما تعلماها في مصر. وينسب إلى روفينوس كتاب «الصحراء أصبحت مدينة» الذي يصف فيه كيف امتلأت صحارى مصر بالعباد والرهبان كنجوم السماء، وينسب إليه كذلك كتاب «تاريخ الرهبنة في مصر» (هستوريا مونوخورم). وتتلمذ روفينوس على القديس مكاريوس الكبير والأنبا بموا والأنبا إيسيذوروس. ومع ذلك، فإنهم علموه ما تعلموه من الرب، ثم ذهب روفينوس وميتلانيا إلى الأراضي المقدسة، حيث أسسا ديرين على جبل الزيتون أحدهما للرجال والآخر للعذارى على نظام الأديرة الموجودة في مصر، كذلك أسهمت ميلانيا بمالها في بناء كثير من الأديرة والقلالي بأورشليم على النظام القبطي بعد أن تأثرت بالرهبنة في وادي النطرون الذي زارته وعاشت فيه.

كما جاء إلى الأراضى المقدسة كل من **جيروم وباولا** اللذين زارا مصر وطافا بكل براريها وتباركا من قديسيها في أواخر القرن الرابع. وكان جيروم قد نقل القوانين الرهبانية وقوانين الشركة ونظم حياة الشركة التي للقديس باخوميوس إلى اللغة اللاتينية نحو عام 404م، فاعتبر أنه همزة الوصل بين حضارة الشرق والغرب، إذ قد عاش في وادي النطرون عدة سنوات ونقل كل التراث الرهباني القبطي الشرقي إلى الغرب وإلى الأراضى المقدسة خاصة، حيث استقر هو وباولا فيما بعد في بيت لحم، وأسسا ديرين أحدهما للرجال تحت رعاية جيروم والآخر للعذارى تحت رئاسة باولا.

ثم بعد ذلك يأتي الراهب **بلاديوس** الذي عاش على جبل الزيتون تحت إرشاد إينوسنت الكاهن ثم أتى لزيارة مصر، ونقل كل تراثها الرهباني وسير

قديسيها إلى الأراضي المقدسة ووضع كتابه الشهير تاريخ الرهبان «التاريخ اللوزياكي»، وكتاب «بستان الرهبان» الذي جمع فيه أقوال وحكمة الرهبان الأقباط وأسلوب حياتهم وتعاليمهم ونظم الحياة الرهبانية القبطية، ونشر ذلك ليس في الأراضي المقدسة وحدها، بل وفي كل الغرب، إذ كتب كتابه باللغة اليونانية، مما ساعد الغرب الهيليني على معرفة حضارتنا العريقة، وبالتالي تأسيس الحياة الرهبانية هناك وفقًا للنظام الذي شاهده وعاشه بين الرهبان الأقباط في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي، ثم زار الإسكندرية وتعرف على المشرف على بيت الضيافة في البطريركية بالإسكندرية وهو القس إيسيذوروس الذي اصطحبه البابا إثناسيوس معه إلى الإسكندرية ليستفيد من علمه وروحانياته في خدمة الكرازة، فساعد إيسيذوروس بلاديوس في التعرف على الحياة الرهبانية القبطية فاشتاق بلاديوس إلى زيارة جبل نتريا عام 391م، ومنها إلى كيليا (القلالي)، حيث عاش بها ثماني سنوات تمتع فيها برؤية وإرشادات القديس مكاريوس الإسكندري، ثم زار بعض التجمعات الرهبانية في صعيد مصر، ثم زار الإسقيط نحو عام 400م، وعاد إلى الأراضي المقدسة وما زال كتاب «بستان الرهبان» الذي وضعه بلاديوس يدرس ويقرأ في جميع ديار مصر والأديرة الرهبانية المتأثرة بالقبطية في العالم كله إلى اليوم.

كما نلاحظ تأثر القديس باسيليوس الكبير بالرهبنة القبطية حينما طاف براري مصر ووقف على روحانية آباء البرية الأقباط ووضع قوانين الرهبنة المعروفة باسمه وأسس رهبانية شهيرة منسوبة إليه في بلاده قيصرية الكبادوك، وقد تأثرت برية غزة حينما جاء إليها الراهب برصنوف النازح من مصر وأيضًا شريكه يوحنا النبي، وهما اللذان مكثا فترة في دير سريدوس في تواطا، وكان هذان القديسان هما

المرشدان الروحيان للرهبان في هذا الدير. وقد وضع برصنوف كتابًا في هيئة أسئلة وأجوبة وكان يستشهد القديس برصنوف كثيرًا بكتاب النسك الذي وضعه الأنبا أشعياء الإسقيطي قبل مجيئهما إلى الأراضي المقدسة، وقد تأثر القديس دوروتيوس بتعاليمهما التي استقوها من الأنبا أشعيا ومنها صلاة يسوع التي كان الأنبا أشعياء يحرص أشد الحرص على تعليمها لتلاميذه، وهذا يظهر جليًا عندما كان دورثيوس يطالب بها تلميذه دوسيتيوس في أثناء مرض هذا التلميذ إذ كان يقول له: «كن متيقظًا لئلا تفوتك هذه الصلاة». ووضع دوروثيوس بعد فترة من الزمن كتابه «دروس تنفع النفس» متأثرًا في هذا الكتاب بتعاليم الأنبا أشعيا الإسقيطي، والكتاب الذي وضعه برصنوف. وكان دوروثيوس يوصي بمطالعة الكتاب المقدس ودراسات الآباء.

وضم كتابه هذا تعليقات على كتاب «أبو فيتجيماتا» أي أقوال الآباء الرهبان المصريين (الحكمية)، وكان الآباء المصريون قد أدركوا أنهم لن يتمكنوا من الوصول إلى الفضيلة بسهولة في العالم، ولذلك فقد احتفظوا لأنفسهم بوجود مميز ونمط حياة خاص بهم، أعني حياة النسك وشرعوا يهربون من العالم يقيمون في الفلوات (الصحارى) ويحافظون على قواعد الصوم وينامون على أرض صلبة ويسهرون الليل بطوله ويمارسون ألوانًا أخرى من التقشف في تنازل تام عن الأهل وحياة اليسر والتنعم، وبإيجاز نقول هم صلبوا العالم في أنفسهم أنهم لم يحفظوا الوصايا فحسب، بل قدموا إلى اللـــه بالإضافة إلى شبه هدايا، وأقصد بهذا أن أقول إن وصايا المسيح تعني المسيحيين كلهم، فهي تشبه إذا صح التشبيه الضريبة التي يتقاضاها الملك من الشعب، والذي يمتنع عن دفعها لن يفلت من العقاب، ولكن يوجد في العالم أولئك العظماء الذين لا يكتفون بدفع الضرائب، بل يضيفون إليها

الهدايا فيحظون بالمقابل بالإكرام والتقرب والرتب المرموقة، وعلى مثال ذلك قدم الآباء الهدايا للـــه ممثلة بالتبتل والفقر، وبالإيجاز هذا ما نقله الآباء إلى الأراضي المقدسة الذين تتلمذوا على يد الآباء المصريين.

ولم يكن تأثير الرهبنة القبطية على الحياة الروحية فقط، بل امتد ليشمل الحياة اللاهوتية والكرازية في الأراضي المقدسة أيضًا؛ لأن الرهبنة القبطية هي في أصلها رهبنة تنوير، وهذا ما يظهر جليًا في حياة الآباء الكبار مثل أنطونيوس ومكاريوس وباخوميوس، وهذا ما تعلمه قديسو الأراضي المقدسة الذين تتلمذوا على أيديهم مثل إيلاريون وبروفريوس أسقف غزة وإفثيميوس الذي امتد مجال خدمته إلى القبائل الموجودة بجوار البحر الميت، إذ قام بتبشيرهم بالمسيحية، وظلت الأراضي المقدسة تحت تأثير الرهبنة القبطية روحيًا ولاهوتيًا، وظهر جليًا من موقف رهبانه في الأراضي المقدسة من مجمع خلقدونية، حيث رفضوا قرارات المجمع لأنها لم تتفق مع تعاليم البابا كيرلس السكندري، وعندها مالت قيادة الكنيسة في الأراضي المقدسة إلى المذهب الخلقدوني ورفض كثير من الرهبان الفلسطينين هذا الأمر، ولم يجدوا مفرًا سوى اللجوء إلى مصر، وبعضهم فضل المقاومة مثل بطرس الكرجي تلميذ الأنبا أشعياء الإسقيطي وجرونتيوس وورومانوس الذين تركوا الأراضي المقدسة وأقاموا مركزًا رهبانيًا مناهضًا للخلقدونية في منطقة غزة.

ويمكننا أن نلاحظ تأثير الحياة الرهبانية القبطية في الأراضي المقدسة عندما نرى نظام الأديرة في الأراضي المقدسة وترتيب الخدمات الطقسية على مدار السنة، وكذلك القوانين الرهبانية وتشكيل خدمة الساعات التعبدية، وكذلك المواضيع المحددة للقراءة اليومية (القطمارس). وتعكس قصة حياة أوريليوس التي رواها بلاديوس في كتابه «تاريخ الرهبنة» كيف كان يعيش في حياة سهر مستمر،

وعندما كان يجتمع الإخوة للصلاة المسائية في الكنيسة كان يصعد على قمة جبل الزيتون ويتلو كل أجزاء الصلاة مهما كان الجو ممطرًا أو جليدًا فلم يترك مكانه، وبعد انتهاء كل صلواته يأخذ مطرقة ويقرع على اللوح ويوقظ النائمين ثم يدور على حجرات الرهبان ليذهبوا للصلاة، وعند طلوع النهار يمضي إلى قلايته ويخلع ملابسه المبلولة ويرتدي غيرها ثم ينزل إلى القداس ويمكث بالكنيسة حتى يحل المساء.

وقد ظل مواظبًا على هذا الأسلوب حتى تنيح بسلام. ومن هذا يتضح التأثير الشديد بالحياة الرهبانية في مصر، فيظهر فيها صلاة المساء التي هي صلاة الغروب وصلاة السحر التي هي تسبيحة نصف الليل، وكذلك الالتزام بقوانين الدير الرهبانية، وقد انتقلت الرهبنة القبطية إلى الأراضي المقدسة بكل أشكالها، فنرى رهبنة الشركة وهي التي تمثلت في أديرة روفينوس وجيروم ورهبنة التوحد وكانت تتمثل في خاريطون وأفثيميوس، أما الرهبنة التوحدية فأبرز مثال لها هو أديرة مار سابا وثيؤدوسيوس اللذين آتيا من كبادوكيا وأسسا أديرة توحدية في الأراضي المقدسة.

العراق

كما انتشرت الرهبنة القبطية في العراق على يد **الراهب أوكين المصري** في أوائل القرن الرابع الذي تتلمذ على يد القديس أنطونيوس والقديس باخوميوس. وأسس كثيرًا من الأديرة على النظام القبطي في العراق (الموصل) وشمال الجزيرة العربية وفارس (إيران) وفي أرمنيا.

كذلك **الراهب القبطي إبراهيم القشقري** الذي كان راهبًا في وادي النطرون ثم أسس ديرًا في جبل عزلا بنصيبين بالعراق نحو عام 502م، وصار رهبانه على نفس نظام وملبس رهبان وادي النطرون (حكيم أمين، تاريخ الرهبنة والأديرة المصرية 1963م).

ســـــوريا

تذكر كتب التاريخ أنه انتقل 500 راهب من وادي النطرون وسكنوا بجبل ناردين بأقصى شمال سوريا وبقيت ذكراهم وآثارهم الروحية على تلك المنطقة وعلى أبنائهم الروحيين أزمانًا طويلة.

كذلك مار **أشعياء الإسقيطي** الذي كان أحد كبار قادة الرهبنة بالإسقيط، وكان معاصرًا للقديس مكاريوس الكبير ونزح مع عدد كبير من رهبان شيهيت إلى سوريا بعد هجوم البربر على الإسقيط وبقي في سوريا نحو أربعين عامًا، وتتلمذ على يديه كثيرون وكانوا ينظرون إليه كناسك ونبي مملوء من نعمة الله، وجاء بعض تلاميذه المتعاقبين من سوريا إلى وادي النطرون ليشاهدوا الموضع المقدس الذي أنجب هذا الناسك العملاق والنبي العظيم وسكنوا بالقرب من كنيسة ثيؤطوكس (والدة الإله) التابعة لدير الأنبا بيشوي، والتي تعرف اليوم بكنيسة السريان بدير السريان العامر نسبة لهؤلاء الرهبان السريان.

آيرلندا

وعلى المستوى العالمي: ـــذهب كثير من الرهبان الأقباط في القرن الخامس إلى آيرلندا عندما كان ابن ملك آيرلندا مريضًا بمرض عضال ليس له شفاء، فلما سمع عن معجزة الشفاء من بحيرة الماء التي بجوار جسد مارمينا بديره الذي كان عامرًا آنذاك ومشهورًا في العالم كله، فجاء إلى دير مارمينا وشفي وزار دير السيدة العذراء (المحرق) وأُمِّن واعتمد وأخذ معه رهبانًا من دير المحرق ومن دير مارمينا آلى جزيرة آيرلندا، حيث بشروها بالمسيحية، وعمدوهم ونشروا الحضارة القبطية في وسطهم، لذلك يعترف المؤرخون في العالم كله (مثل العالم الألماني بيتر بولسن

peter Paulsen) بهذه الحقيقة المؤكدة عن انتشار المسيحية والحضارة في آيرلندا عن طريق الرهبان الأقباط في القرن الخامس، من آيرلندا إلى أسكتلندا وإنجلترا وألمانيا وإسبانيا وبلجيكا، ولذلك فإن شكل الصليب الآيرلندي (celtic cross) يشبه الصليب القبطي، وكذلك الفنون الآيرلندية والموسيقى والأيقونات كلها تأثرت بالحضارة القبطية والثقافة والديانة القبطية، حتى إن حروف اللغة الآيرلندية القديمة GAELIC قد تأثرت بحروف اللغة القبطية، وفي مكتبة bodleian بأكسفورد توجد مخطوطتان إحداهما قبطية والأخرى آيرلندية لإظهار تأثر الكتابة والحروف الآيرلندية باللغة والمخطوطات القبطية، وحتى ألوان الزخارف والنساخة في آيرلندا قديمًا هي الألوان القبطية الفرعونية القديمة، وهي الأصفر والأحمر والأخضر، وكذلك فكرة تصوير الحروف الهجائية وزخرفتها أيضًا مأخوذة من القبط، كذلك النقوش الموجودة على المعادن (الحديد والبرونز) وعلى الخشب والقماش (النسيج) المستخدم في الكنيسة المأخوذ أيضًا من الفن القبطي. وتوجد منطقة في وسط آيرلندا جهة الجنوب تسمى colnmacnoise بالقرب من نهر شانون Shannon بها مجموعة من الصلبان الحجرية القبطية الأصلية وصلبان آيرلندية قديمة متشابهة لها تظهر علامة الصليب الآيرلندى celtic cross وتأثره بالصليب القبطي، وكذلك توجد صلبان قبطية في منطقة أثرية بآيرلندا تسمى السبع كنائس.

ولتأكيد أن الرهبنة دخلت آيرلندا من مصر توجد منطقة في آيرلندا الشمالية تسمى مدينة مارمينا bally mina ومنطقة أخرى في آيرلندا الجنوبية تسمى برية أوليدو desert ulidu كان يسكن بها رهبان أقباط من دير المحرق، ولذلك يذكر اسم سبعة رهبان أقباط من دير المحرق (أسيوط) في كتاب تذكار الموتى (التراحيم)

باللغة الآيرلندية القديمة منذ ما قبل القرن الثامن الميلادي، وفي أربعينات القرن الحالي تم اكتشاف مقبرة هؤلاء الرهبان السبعة في منطقة donegol شمال غربي آيرلندا (بالقرب من بلفاست). كل هذا جزء صغير من تاريخ حضاري طويل وعظيم امتدت جسوره من مصر إلى آيرلندا، ثم إلى غرب أوروبا، ولهذا اهتمت أوروبا بدراسة هذه الظاهرة وكتب كثير من الكتاب عنها مثل peter paulsun العالم الألماني في كتابه koptische und ومن آيرلندا ذهب الرهبان الأقباط أو تلاميذهم الآيرلنديون من آيرلندا إلى سويسرا وإلى ألمانيا، حيث أسسوا مدينة ميونخ القديمة، ولذلك سميت باسم الرهبان (مدينة ميونخ: من موناخوس)، وعلمها الرسمي يمثل راهبًا بملابس سوداء، وكذلك ذهبوا إلى بلجيكا (التي ما زال يوجد بها شارع يسمى شارع الأقباط).

ألمانيا

ونتيجة لهذه القنوات الحضارية بين مصر وأوروبا انتشرت في أوروبا عادات مسيحية مثل بيضة شم النسيم التي أصلها فرعوني (تمثل خروج الحياة في الربيع من الكتكوت عندما يخرج من البيضة، والتي ارتبطت بالقيامة عند الأقباط (الذين قاموا بتنصير هذه العادة الفرعونية). وأصبحت تمثل قيامة المسيح الحي من داخل القبر الذي يظهر ميتًا من الخارج، كذلك انتشرت أسماء قبطية من القبطي الصعيدى مثل «يحنس» أو «يوحنس» (أي يوحنا) بالقبطي الصعيدي، وهذا الاسم نجده في ألمانيا (يوهانس johannes)، لأن هذا الاسم بهذا النطق لا يوجد في لغات العالم كلها إلا في اللغة القبطية باللهجة الصعيدي. كما أن تسمية الصيدلية أو الأجزاخانة (مخزن الأدوية) في اللغة الألمانية باسم أبو تيكى aputheke مأخوذة عن اللغة القبطية. وتعني «مخزن»، ومنها اسم مدينة أبو تيج بأسيوط؛ لأنها كانت مخزنًا قديمًا

أيام حكم اليونان (القاموس القبطي لإقلاديوس لبيب). كما ذهب الأقباط ليبشروا في النوبة وفي الهند (القديس بنتينوس عام 90).

الحبشة

منذ القرن الثاني الميلادي والحبشة (القديس فرومنتيوس المصري عام 330). من القرن الرابع، ونشروا المسيحية والحضارة المصرية والرهبنة في كل هذه البلاد، وكذلك القديس أثناسيوس الرسولي نشر الرهبنة في أوروبا في أثناء نفيه خارج مصر.

فرنسا

ففي نفيه عام 335–338م إلى مدينة تريف treve (وبالفرنسية tries). وهي تقع على شاطئ نهر الموزل بفرنسا كتب الكثير عن حياة الرهبنة المصرية، وخاصة كتابه العظيم عن حياة القديس أنطونيوس، فتتلمذ على يديه مارتن، الذي أسس جماعة رهبانية على مقربة من بواتيه نحو عام 362م ومجموعة رهبانية أخرى بالقرب من مدينة تور نحو عام 372م عندما سيم مارتن أسقفًا لهذه المدينة، وتأسست أيضا أربعة أديرة أو جماعات رهبانية في تريف بفرنسا، لم يبق منها إلى الآن إلا دير القديس متياس الرسول، والذي يضم رفاته المقدسة وجزءًا من ثياب السيد المسيح، وما زالت توجد حول هذا الدير مغارات ومنشوبيات رهبانية كثيرة تشبه تلك الموجودة حول دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر، مما يدل على أن القديس أثناسيوس تلميذ الأنبا أنطونيوس هو مؤسس الرهبانية بها.

القديس يوحنا كاسيان (360 – 435 م).

كذلك نلاحظ أثر الرهبنة القبطية على القديس يوحنا كاسيان، والذي زار

مصر نحو عام 385م ومكث بها سنوات عديدة، وتنقل بين تجمعاتها وأديرتها الرهبانية ومتوحديها، وذكر أنه شاهد كنائس الإسقيط الأربع عام 385م، وكتب حصيلة مشاهداته ومناقشاته مع آباء الرهبنة القبطية ومعايشتهم والاسترشاد بتعاليمهم وروحانيتهم، وترك لنا كتبا ثمينة منها كتاب «النظم الرهبانية» وكتاب «المناظرات»، وهو يشتمل على أربعة وعشرين فصلاً، العشرة الأولى خاصة بمباحثاته مع آباء الإسقيط الذين تأثر بهم جدًا حتى دعي الإسقيطي. و لم تنتشر كتبه في الأراضي المقدسة وحدها، بل في موطنه فرنسا، حيث أسس ديرين بالقرب من مرسيليا، وظل كاسيان يقود الحياة الرهبانية في فرنسا حتى آخر أيام حياته.

ولما زار كاسيان القسطنطينية رسم شماسًا بيد القديس يوحنا ذهبي الفم (نحو عام 400م)، ثم رسم بعد ذلك قسًا في موطنه. ولقد نقل يوحنا كاسيان الرهبنة القبطية إلى مقاطعة بروفانس بجنوب فرنسا، ثم أسس ديرين بالقرب من مارسليا، وظل كاسيان يقود الحياة الرهبانية في فرنسا حتى آخر أيام حياته. ويرجع إليه الكثير من الفضل في نقل التراث القبطي الرهباني الروحي من تسابيح وصلوات ومزامير ونسك من مصر إلى الغرب، وخاصة إلى القديس بندكت رومـــا.

وكذلك عندما نفي البابا أثناسيوس مرة أخرى إلى روما بين عامي (340 – 349م) مصطحبًا معه راهبين من وادي النطرون أحدهما الراهب أمونيوس، والثاني الراهب القس إيسيذورس الذي كان مشرفًا على بيوت الضيافة في الإسقيط، عملوا معًا على نشر الحياة الرهبانية والنظم الرهبانية في روما وكانت تستضيفهم هناك أرملة مسيحية اسمها مارسلا التي تأثرت بأحاديثهم عن الحياة النسكية للأرامل والعذارى في مصر، فأسست مارسلا نواة الحياة الرهبانية للنساء واجتذبت إليها كثيرات من نساء وعذارى الطبقات الراقية. كما تأثر القديس أمبروسيوس (أسقف

ميلانو بإيطاليا) بالحياة النسكية القبطية التي نشرها البابا أثناسيوس والراهبان اللذان اصطحبهما إلى إيطاليا، فأسس القديس أمبروسيوس نظامًا للرهبنة الخادمة متأثرًا في ذلك بالراهب القس إيسيذورس الذي جمع بين الرهبنة والخدمة الرعوية والكهنوتية.

روفينوس (345 – 410 م) tyranaius rufinus

من أكويليا aquilia بشمال إيطاليا. زار مصر نحو عام 371م أو 372م، وعاش لمدة عامين في الإسقيط وعايش الرهبان الأقباط ونقل هذا التراث الروحي إلى الغرب، وكان متحمسًا لكتابات أورجينوس، وينسب إليه كتاب «الصحراء أصبحت مدينة» الذي يصف فيه كيف امتلأت صحارى مصر بالعبادة والرهبان كنجوم السماء، وينسب إليه كذلك كتاب «تاريخ الرهبنة في مصر» historia monachorum. وفي أثناء تجواله في الإسقيط ونتريا وصلت إليه رسالة من جيروم عام 373م يقول له فيها: «سمعت أنك توغلت في أعماق مصر الخفية وتطوف بالعائلة السمائية التي على الأرض (الرهبان)». وتتلمذ روفينوس على المقارين وبموا وأيسيذوروس وغيرهم، إذ قال عنهم (الذين علموني ما تعلموه من الرب).

جيروم (أيرونيموس 342 – 420 م) Jerome

ولد في كويلا سوريا coele swria نواحي سوريا وتعمد وتعلم في روما، وزار فلسطين نحو عام 374م، وتوحد لمدة أربعة أو خمسة أعوام في صحراء سوريا. زار مصر وعاش بين رهبانها في أواخر القرن الرابع، ونقل قوانين ونظم حياة الشركة التي للقديس باخوميوس إلى اللغة اللاتينية نحو عام 404م، فاعتبر أنه همزة وصل بين حضارة الشرق والغرب، وكان قد عاش عدة سنوات في وادي النطرون وكانت معه راهبة رومية تدعى بولا، ثم سافر الاثنان إلى فلسطين واستقرا، حيث

أسس جيروم ديرًا للرجال، وأسست بولا ديرًا للراهبات من مالها الخاص، وكان كل هؤلاء قد قاموا بنقل التراث الرهباني القبطي إلى الغرب، وإلى فلسطين أيضا وقد تأثر القديس بندكت بهذه القوانين والنظام والحياة الرهبانية القبطية. وكان القديس بندكت قد ولد عام 480م وتوفي عام 547م، وبدأ حياته التوحدية (متأثرًا بالنظام الأنطوني) في كهف sudiaco على بعد نحو أربعين ميلاً من روما، ثم أسس في نحو عام 520م حياة رهبانية مشتركة على نظام القديس باخوميوس والذي نقله للغرب يوحنا كسيان. ويقوم هذا النظام على أساس (الصلاة والعمل) والذي يسمى باللاتينية oraetladora (وهو غير النظام الذي يقوم على الصلاة فقط الذي يتبعه جماعة المصلين) ،كما وضعه القديس باخوميوس نحو عام 320م. وسرعان ما انتشر هذا النظام على يد القديس بندكت (وكما يسمى بالفرنسية القديس بنوا benoit de bunursie) في أوروبا كلها وانتشرت معه المسيحية حتى بين القبائل البربرية في العصور الوسطى. وصارت أديرة البندكت مراكز للكرازة والتعليم، وأنشا المدارس والمستشفيات والملاجئ ومراكز حضارية عملت على نشر الحضارة في الغرب، ولذلك يدين لها الغرب بالفضل إلى اليوم. وهذا الفضل التراثي الرهباني والحضارة المصرية والقبطية التي تأسس عليها هذا النظام.

شمال إفريقيا

وكان تأثر القديس أوغسطينوس (عندما كان في روما) بروح كتابات البابا أثناسيوس، وخاصة كتابه عن حياة القديس أنطونيوس، دفاعًا قويًا له ليؤسس رهبانيات قوية في شمال إفريقيا، وخاصة في هيبو hippo عندما سيم أسقفًا عليها عام 396م، كما انتشرت الرهبنة القبطية ومعها الحضارة المصرية إلى أوروبا وآسيا أيضًا عن طريق كثيرين من الرحالة الأجانب الذين جاءوا إلى مصر في براريها

وأديرها ومغاراها ومنشوبياها وتحدثوا مع كبار قادة الرهبنة القبطية وتشربوا منهم مناهج وروح الحياة الرهبانية القبطية وسجلوا ملاحظاتهم ومنقاشاتهم بالتفاصيل الدقيقة ونشروها في الغرب والشرق ومن هؤلاء:

أولاً: بلاديوس balladius مؤلف كتاب «التاريخ اللوزياكي» historia lausiaca، وكتاب «بستان الرهبان» الذي جمع فيه أقوال الرهبان الأقباط وأسلوب حياتهم وتعليمهم ونظم الحياة الرهبانية القبطية، ونشر كل هذه في الغرب بلغتهم اليونانية، مما ساعد على تعرف الغرب على الحياة الرهبانية القبطية ووقوفهم على حضارتنا العريقة، وبالتالي تأسيس الحياة الرهبانية في الغرب على النظام الذي شاهده ووصفه بلاديوس كما عاشه بين الرهبان الأقباط في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي بالإسكندرية. وفي تعرف على المشرف على بيت الضيافة في البطريركية وهو القس أيسيذوروس الذي اصطحبه البابا أثناسيوس معه ليستفيد من علمه وروحانياته في الكرازة فساعد أيسيذورس بلاديوس على التعرف على الحياة الرهبانية فاشتاق بلاديوس إلى زيارة جبل نتريا عام 391م، ومنه إلى كيليا (القلالي)، حيث عاش بها ثماني سنوات تمتع فيها برؤية وإرشادات القديس مقاريوس السكندري، ثم زار بعض التجمعات الرهبانية في صعيد مصر، ثم زار الإسقيط نحو عام 400م وعاد إلى فلسطين، وما زال كتاب «بستان الرهبان» الذي وضعه بلاديوس يدرس ويقرأ في جميع أديرة مصر والأديرة الرهبانية المتأثرة بالقبطية في العالم كله إلى اليوم.

ثانيًا: القديس باسيلوس الكبير (329 – 379م). طاف براري مصر ووقف على روحانية آباء البرية الأقباط ووضع قوانين الرهبنة المعروفة باسمه، وأسس رهبانية شهيرة منسوبة إليه في بلاده قيصرية الكبادوك.

ثالثًا: ماراغريس البنطي (إيفا جوريس). ترهب بنتيرا عام 383م ومارس التقشف الصارم وإماتة الذات، وله أقوال كثيرة، وكان قد تأثر بأوريجانوس ونقل أفكاره لنتريا، مما سبب بلبلة بين رهبان نتريا.

المراجع:

- الكتاب المقدس
- رهبنة دير مارجرجس الحرف ، أصول الحياة الروحية الطبعة الثانية / منشورات النور
- فريد كامل وكامل صالح نخلة ، تاريخ الامة القبطية
- راهبات دير بنات مريم ، الترهبن والخدمة نداء العصر
- عبد المسيح صليب المسعودى (القمص) تحفة السائلين فى ذكرة أديرة الرهبان المصريين

  الطبعة الثانية 1999 اعداد أحد رهبان دير البراموس
- ايفيلين هوايت – تاريخ الرهبنة القبطية فى الصحراء الغربية – طبعة خاصة للباحثين والمتهمين بالدراسات التاريخية – تعريب بولا البراموسى – ثلاثة اجزاء
- متى المسكين – القمص – الرهبنة القبطية فى عصر انبا مقار – طبعة الثانية 1984
- الراهب البراموسى : حسن السلوك وتاريخ البطاركة والملوك
- ابن جبير رحلة ابن جبير تحقيق حسين نصار القاهة 1955 م
- بوركهارت رحلات بوركهات مترجم القاهرة 1960 م

- جمال الدين ابو المحاسن النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة مطبعة دار الكتب القاهرة 1947 م
- دكتور زاهر رياض كنيسة الاسكندرية فى افريقيا 1962 ندوة عن آثار مدينة اورشليم القدس جمعية المحافظة على التراث المصرى بالمنتدى الثقافى المصرى ابريل 2011
- مؤتمر الكتابات والنقوش فى منطقة شمال أفريقيا بمركز الخطوط بمكتبة الاسكندرية اكتوبر 2012 م

روائح الزهور من وسط الفلكلور..

أنجيلوس النقلوني

مقدمة

قال الأستاذ الدكتور/ طه حسين، عميد الأدب العربي في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» عن الكنيسة القبطية: «الكنيسة القبطية مجد مصري قديم. والحضارة الفرعونية ممتدة في الكنيسة القبطية» أ. هـ[1].

الحضارة الفرعونية امتدت في حياة أحفادهم الأقباط اليومية وفي كتاباتهم ونظم تسجيلاتهم وعلومهم والفنون والأدب القبطي. لغتهم القبطية التي هي المرحلة الرابعة من تطورات اللغة المصرية القديمة.

وقال السيد/ Haraor مدير المتحف الوطني بفيينا في كلمة ترحيب لمجموعة من الزائرين الأقباط لمتحف البرديات في المكتبة الوطنية النمساوية[2].

«لقد استخدمنا كل خبراتنا وإمكانياتنا العلمية في ترجمة النصوص القبطية التي وجدناها مكتوبة على أوراق البردي وقطع الفخار المكسور (يقصد القبطي الصعيدي لأن معظم الاكتشافات والبرديات والأستراكات مكتوبة بالقبطي الصعيدي). ولكننا كثيرًا ما وقفنا حائرين أمام نصوص معينة نحاول فهم المعنى الذي كان يقصده كاتبها القبطي. على الرغم من ترجمتنا الحرفية لها بدقة ونحن نؤمن بأنكم أنتم الأقباط وحدكم القادرون على فهم المعاني والأسرار المكتوبة في الآثار بسهولة لأنكم ببساطة اليوم تحملون الإجابات عن كل الأسئلة في حياتكم اليومية ويمكن الوصول فقط بمعرفة طابع وعادات الأقباط اليوم التي هي ترجمة حية لنصوص المخطوطات القديمة». أ. هـ[3].

---

(1) كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» – عميد الأدب العربي طه حسين – طبعة الأسرة.

(2) كتاب «الحياة اليومية عند الأقباط» – ترجمة هلجاديل وناصر البرد نوهي. نشر إيبارشية النمسا.

(3) س. هـ. ليدر. أبناء الفراعنة المحدثون. دراسة لأخلاق أقباط مصر وعاداتهم. ترجمة أحمد محمود. طبعة أولى 2008 م دار الشروق ص: 168.

وجاء في رسالة كتبها الإمبراطور هادريان في القرن الثاني الميلادي قال فيها عن الأقباط: «جماعة ثرية ومزدهرة لا يعيش منها أحد عاطلاً، فالبعض ينفخ الزجاج، والبعض يصنع الورق (البردي)، والبعض الآخر الكتان. بل هناك عمل للأعرج والأعمى». أ. هـ.

تعريف الفلكلور

الفلكلور هو التراث الشفاهي الذي تركه السلف إلى الخلف (الأب إلى الابن). يسمى أحيانًا الميراث المعنوي. وهو عبارة عن تراث فكري وأدبي، سواء كان من القصص الشعبى أو الأمثال والعادات والتقاليد على وجه العموم.

أولاً: الحكم الحكمية[1].

قال الحكيم: «عليك يا ابني بالوقار للكبار والصغار». بمعنى الاحترام المتبادل لكل الناس في جميع الأعمار.

و«الق عدوك وصاحبك بوجه الرضا بلا كشوشية وجه ولا إهانة ولا بدلة، بل بوجه مبتسم ضاحك». بمعنى حينما تقابل أحدًا من أصحابك أو أعدائك تقابلهم بوجه مبتســـم وضاحك لا مكشر ولا تهن أحدًا.

ثانيًا: قصة شعبية[2].

قصة شعبية على قول الحكيم: هناك طرق تبدو مستقيمة للإنسان ولكن عاقبتها طرق الموت (قصة القط والفأر). على وزن شعري.

(1) مخطوط عن أقوال الحكماء – مكتبة دير رئيس الملائكة ميخائيل بنقادة.

(2) تسجيل مع كبار السن في السن من نقادة.

أحكيلكم حكاية من حكايات الجدود. على قط جاع ليقيولوا فأر فوق العمود عليه رقبة تشبه رقبه القاعود.

القط قال للفأر: اطلع بينا نبيع عطارة على البيبان.

الفأر قال: لا أنا عطار ولا أبوي عطار ولا جدي عطار أنا لو جعت آكل حطب يابس من الغيطان.

القط قال: اطلع بينا وننصبوا لنا قياسي (الميزان).

الفـــأر: قالوه مالى ومال الشبكة أبوي لا خلفلي مال وتركة.

القط قال: اطلع واديني الأمان.

الفأر: طلع الفأر خبش فيه القط وقالوه من يوم ما عشرتك يا بو عيون حمر وأنا ناوي عليك بقطع

العمر.

عتاب:

القط قال للفأر: عملك إيه صاحب الجبة والزعبوط لما كلتهم وبيته بردان.

الفأر قال للقط: وأنت عملك إيه صاحب الحمام لما جبت الحمام من آخر الكونان.

القط قال للفأر: وأنت عملك إيه القصب لما مصيته.

الفأر قال للقط: حقيقي القصب حلو ومصيته داه هد شقى بالمحرات من بعد ما بنية وإن كان جيه وشكالك صاحب القصب احلف ما ريح غيطه.

* التعليق:

قصة رمزية بطريقة شعرية منظومة على بعض آيات من سفر الأمثال.

1- يا ابني إن تملقك الخطاة فلا ترضى (أ مـــ: 1: 10).

2 - توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت 1(مـــ: 14: 12).

* شرح بعض كلمات القصة:

قياسي: يقصد الميزان الحساس الخاص بالذهب.

الجبة: ثوب من الصوف ثقيل لملابس الشتاء مصنوع من النسيج اليدوي.

الزعبوط: ثوب مشقوق من الوسط وله غطاء رأس يلبس في الشتاء فوق الملابس العادية للتدفئة.

الكونان: جمع كون وهي كلمة قبطية أصلها أيهون بالصعيدي وأيخون بالبحيري ومعناها دخل أو داخل ومنها اشتقت كلمة هون بالصعيدى وخون بالبحيرى وكلمة كون، والكون هو مكان يبنى في الحائط بجوف وله فتحة ضيقة ومتسع من الداخل لتربية الحمام وأحيانًا يسمى بنية.

المحراث: يقصد به محراث البقر المعمول من خشب الأثل أو السنط.

*** أصل القصة:**

1- هذه القصة لها أصل في المصري القديم بين القط والفأر ومرسومة على بعض البرديات المصرية القديمة وموجودة بالمتحف المصري تحت رقم 31199 سجل عام طولها 55 سم، والعرض 13 سم بردي تحت اسم تصاوير ساخرة من عصر الدولة الحديثة الأسرة الـــ20 نحو عام 1100 ق.م[1].

2 - وأيضًا في العصر القبطي موجودة بالمتحف القبطي لوحة من الفرسك

(1) بردية مصرية بالمتحف المصري رقم 31199 - تصوير جداري بالمتحف القبطي رقم 8441.

تمثل منظر وقوف وفد الفئران أمام القط تطلب الهدنة. وقد وجد هذا المنظر ضمن الآثار التي وجدت في بلدة باويط بأسيوط (فى دير الأنبا أبولو). ومن الطريف أن أعضاء وفد الفئران رفعوا علمًا أبيض اللون وهو الذي يعتبر حتى اليوم علم الهدنة والأمان. وهي في المتحف تحت رقم 8441 من القرن السادس الميلادي.

وأيضًا لا أغالي حينما أقول إن هذه القصة هي أصل فكرة توم وجيري في التلفزيون الذي أنتجته «وولت ديزني».

ثالثًا: أمثال شعبية[1].

1- من بره هاللا هاللا ومن جوه يعلم الله.

هذا المثل على مثل الكتبة والفريسين الذي ورد في إنجيل متى إصحاح 23: 1 - 36.

لأنكم تشبهون قبورًا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضًا من خارج تظهرون للناس أبرارًا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثمًا (متى 23: 27 - 28).

وأيضًا هذا المثل بصيغة أخرى في بعض المناطق.

من بره طق طق ومن جوه فاش وبق.

الفاش: حشرة دقيقة تشبه الناموس وأكثر الأشياء إصابة بها فراخ الحمام الصغيرة وتؤدي إلى قتلها.

2- هو غرق المركب جحش النصراني؟

---

(1) تسجيل مع كبار السن في نقادا.

يعود هذا المثل إلى عصر الحاكم بأمر الله في القرن الحادي عشر عندما منع المركبية من تعدية المسيحيين ومواشيهم وحميرهم.

3- اللي اختشوا ماتوا.

يعود هذا المثل إلى العصر الروماني حينما كانت الحمامات عامة واشتعلت النيران في أحد الحمامات والذين استحيوا الخروج وهم عرايا ماتوا في الحريق.

* وأيضًا بعض العادات التقليدية[1].

عادة القصعة

هى عمل أرز باللبن وفي الفجر قبل صحو الناس يسكب منها طبق في النيل الذي يسمى في الصعيد البحر، ثم يوزع الباقي على الجيران، وهي تقدم كنذر أو تقدمة شكر.

يرجع أصل هذه العادة إلى المصري القديم حينما يقوم المصري بتقديم أول شيء من نذره أو تقدمة إلى إله النيل حابي كتقدمة شكر.

عادة كسر البصل

يقوم الأقباط في الصعيد في فجر شم النسيم بكسر البصل وصب ماء النيل عليه ثم على كل عتبة في البيت.

يعود أصل هذه العادة إلى المصري القديم الذي اعتقد أن البصل يطرد الأرواح الشريرة.

واعتقد الأقباط أيضًا أن السنة تكون باردة (لا يوجد فيها أحزان).

---

(1) تسجيل مع الناس الكبار في السن من نقادة.

عادات في الأكل

كالمعتاد يختلف الطعام والشراب في الأعياد والأفراح عن الطعام والشراب في الحياة اليومية العادية.

هناك بعض البرديات والأستراكات إلى توضح هذه.

الكرنب:

الكرنب هو نوع من الخضار الذي لا يتكرر كثيرًا ذكره في الآثار المكتوبة ولكن يستعمل كثيرًا في مصر، وخاصة عند الأقباط، وبالأخص في أيام الأصوام.

وتوجد أستراكا من الفخار من القرن الـ7/8 الميلادي مساحتها 7 × 12 سم موجودة بمتحف المكتبة الوطنية بالنمسا[1].

كاتب الرسالة على الأستراكا يطلب من أحد الأشخاص إرسال ثلاث رؤوس كرنب.

الفسيخ:

برع الأقباط في طريقة حفظ الأسماك لمدة طويلة عن طريق التمليح وأيضًا حفظوا اللحوم بنفس الطريقة.

ويوجد نص لهذه الطريقة مكتوب على أستراكا من الفخار من القرن الـ8 الميلادي مساحتها 7.6 × 7 سم موجودة بمتحف المكتبة الوطنية بالنمسا تقول[2]:

عن طريق بتاورروس.

---

(1) أستراكا بالقبطي الصعيدى بمتحف المكتبة الوطنية بالنمسا القرن الـ7 / 8.

(2) أستراكا بالقبطي الصعيدي بمتحف المكتبة الوطنية بالنمسا القرن الـ8.

(بستافروس: كلمة قبطية صعيدية تعني صليب وهو اسم شخص). من ميجدول (يبدو اسم بلد).

12 زجاجة سمك وهي 12 زجاجة سلعة مملحة التاريخ في 22 بهامينوت الإنديكاسيون الأول، ويبدو أن طريق حفظ السمك بالتمليح هو في الغالب حسب المصادر القديمة كان يوضع السمك في زجاجات (خاصة) وتغطية بالملح.

ويوجد نص قبطي آخر على أستراكا من القرن الـ8 الميلادي مساحتها 8.5 × 14 سم موجودة بمتحف المكتبة الوطنية بالنمسا تنص على (11).

طلبية هيراكليته (يبدو اسم سيدة) من سانيسله (يبدو اسم سيدة أيضا) 10 زجاجات سلع مملحة.

اعمل10 زجاجات لمكتب الكتابة – التاريخ في 19بيهامنوت الجزء الثاني في الإنديكاسيون الأول.

*** عقود الإيجار والشراء والبيع عند الأقباط:**

لم تكن حياة الأقباط بلا نظام، ولكن من الوثائق والأدلة القديمة التي حصلنا عليها نرى أن الأقباط كانوا منظمين جدًا ولهم أسلوب مهذب ورقيق حتى في كتابة عقود الإيجار والشراء والبيع[1].

بردية قبطية صعيدية من القرن السابع الميلادي مساحتها 9 × 13 سم موجودة بمتحف المكتبة الوطنية بالنمسا، ومن المحتمل أنه عثر عليها في منطقة جبل شامة والأساس بطيبة؛ لأنه يوجد مثل هذه العقود التي خرجت من جبل طيبة والأساس بالمتحف القبطي بالقاهرة.

---

(1) بردية قبطية صعيدية من القرن السابع الميلادي – متحف المكتبة الوطنية بالنمسا.

تنص البردية على عقد إيجار بين ستيفاني الكرام والسيدة كايزاريا.

ستيفانى الكرام (إسطفانوس) ابن المتوفى يسطس من منطقة رئيس الملائكة ميخائيل أجر أرضًا زراعية من السعيدة جدًا منذ ولادتما السيدة كايزاريا بنت المتوفى أندرونيكى.

بسعادة وحرية وبلا ندم أنا أقر بأنه يحق لك تأجير الأرض التي هي بالفعل عندك بدءًا من هذه السنة وحتى ميعاد المحصول القادم.

* اشتر قمحًا:

أستراكا من القرن الـــ7 الميلادي مساحتها 6.5 × 13 سم موجودة بمتحف المكتبة الوطنية بالنمسا وهي خاصة بشراء قمح كويس وجيد تنص[1].

قبل أي شيء أحييكم من كل روحي. الرب يبارككم.

بعد أن رحلت من عندي أرسلت أنا أخي بيكوش (اسم شخص) إلى الشمال من أجل القمح. لقد قيل لي إنه لم يتبق في الشمال قمح بـــ11.5 للبيع بعد. على كل حال أحدهم يبيع في بشناي (اسم بلدة ويعتقد أخميم) قمحًا جيدًا نحو 11 إردبًا لو احتجت أرسل لي المال مع بساتة (بسادة اسم شخص). وأنا سوف أبعث واشتري.

* قعدة الصلح عند الأقباط:

قعدات الصلح التي تجرى في هذه الأيام في الصعيد على الأخص بين الأشخاص وبعضهم لها أصول قديمة عند الأقباط لأن الكثير منهم فضل عدم

(1) أستراكا من القرن الـــ7 – متحف المكتبة الوطنية بالنمسا.

اللجوء إلى المحاكم الرسمية لحل النزاعات بينهم. بل يلجأ الطرفان المتخاصمان إلى طرف ثالث ويقبل حكمه من الطرفين المتنازعين. ثم تكتب نتيجة الحكم الذي توصل إليه وأيضًا عقد اتفاق مقيد بصيغة متعارف عليها ولا يجوز التغيير فيها وهي:

1- يكتب أسماء وعناوين كل الأطراف المتنازعة.

2- اسم وعنوان الحكم الذي تم اختياره للفصل في الموضوع.

3- يكتب بند إجباري متعارف عليه ومن يعارض الحكم الذي سوف يتم التوصل إليه ويدفع غرامة مادية مع إلزامه بالتنفيذ.

4- يكتب موضوع الخلاف.

5- يكتب الحكم الذي تم التوصل إليه بعد الاستماع لأطراف النزاع.

* بردية بالقبطي الصعيدي ترجع إلى القرن الـ8 الميلادي مساحتها 20 × 16 سم

موجودة بمتحف المكتبة الوطنية بالنمسا تنص[1].

بسم الله، أنا كتبت في 26 أبيب للسنة 15 من الأنديكاسيون الجاري أنا باليو ابن الطوباي

(المرحوم) شنوتي وتاجاتونيكة زوجة بيساو ابن أبايولي القادمين من بيهسامون دائرة هنيس عاصمة المنطقة.

نحن اخترنا أبايولى ابن كاريت وأبا أوول ابن يوهانس (يؤانس - يوحنا)،

(1) بردية بالقبطي الصعيدي - القرن الـ8 متحف بالمكتبة الوطنية بالنمسا.

وهم رجال قادمون من نفس القرية أن يحكموا بالحق بيننا والشخص الذي سوف يعارض الحكم الصادر سوف يدفع غرامة ولن يكون من حقة أن يعمل ضده.

أنا أبا أوول ابن يؤانس وأبايولى ابن كيرات ابن رجال قادمين من بيهسامون دائرة هنيس عاصمة المنطقة.

نحن استمعنا إلى موضوع الخلاف بين باليو ابن شنوتي وتاجوتونيكة زوجته.

بيساو ابن أبايولى القادمين من نفس القرية.

الذي استراحت إليه قلوبنا هو الآتي: نحن وجدنا الذنب يقع على..

(إلي هنا انتهت البردية مع الأسف الشديد).

*** تعليق:**

يبدو أن الأسماء التي ورد ذكرها في البردية هم آباء كهنة لأن لقب أبا لا يطلق على أحد من الناس.

يبدو من هذه البردية أن القرارات التي تؤخذ لفض النزاع كانت بمثابة قرار محكمة رسمي ملتزم به جميع الأطراف دون اللجوء إلى القضاء مثل اليوم.

وكلمة الطوباي كانت تسبق اسم المتوفى مثل كلمة مرحوم الحديثة الآن.

*** عادة تكفين الموتى عند الأقباط**

اعتاد الأقباط مع دفن جثة المتوفى دفن الحلي والجواهر والأشياء الثمينة وكانت هذه العادة موجودة إلى وقت قريب جدًا وفي الواقع هي عادة توارثوها عن أجدادهم الفراعنة القدماء، الأمر الذي يسهل سرقة الأجساد من المقابر.

وجاء عن مثل هذه الحوادث ما كتب في المقطم الصادر في مساء السبت 28

يوليو 1934 لمكاتبة في قنا تحت عنوان «سرقة جثة وجيه (ثري) من وجهاء نقادة من المقبرة».

النص[1].

توفي وجيه (ثري) من وجهاء نقادة التابعة لمركز قوص من نحو سنتين وكان في مرتبة قمص في كنيستها. وبلغني أن لصوصا جرأوا على سرقة جثمانه بتابوته كاملاً بالملابس (الملابس الكهنوتية). والعصا والحلي وما هو معتاد وضعها مع الميت وأبلغت الحادثة إلى مديرية ورئاسة نيابة قنا والمطرانية فيها والبطريركية في مصر. والبحث يدور عن الجناه الآثمين. أ. هـــ.

*** جلوس الرجال أمام بيت المتوفى**

ما زالت هذه العادة موجودة في الصعيد وهي منتشرة بين المسيحيين والمسلمين، وهذه العادة لها أصول فرعونية قديمة، ففي خطاب من أحد موظفي الدولة الحديثة في العصر الفرعوني موجه إلى زوجته المتوفاة قال[2].

«لقد بكيتك كثيرًا مع غيري من الرجال أمام باب منزلي».

*** بعض الكلمات الفريدة[3].**

توجد بعض الكلمات الفريدة في الصعيد الأعلى، وهي إما ترجع أصولها إلى المصري القديم أو القبطي مثل:

1- جعمز: تعني اجلس، وهي كلمة مصرية قديمة وتعني تسكن روحك في نفسك.

---

(1) مجلة المقطم - السبت 28 يوليو - 1994 - مقال سرقة جثة وجيه من وجهاء نقادة من المقبرة.
(2) خطاب من الدولة الحديثة الفرعونية - كتاب محرم كمال «الحضارة الفرعونية في حياتنا اليومية».
(3) شرح ورأي شخصي.

2- قمبر: تعني اجلس، وهي كلمة مصرية قديمة مكونة من KA. M. PR، وتعني تسكن روحك في دارك KA روح - M مكان - PR دار.

3- افنس: تعني انظر، وترجع إلى الكلمة القبطية افناف بمعنى انظر.

4- الهيني: أداة إشارة تعني الشيء.

5- إهي: أداة إشارة للبعيد.

6- بط: بمعنى امشِ، ومنها كلمة بطط بمعنى اختصر السكة أو الطريق.

*** بعض المصطلحات التي تستخدم على عكس مفهومها**

نهارك مقندل: المقصود بها نهارك منور بنور القنديل.

ليلتك مقندلة: المقصود بها ليلتك منورة بنور القنديل.

روح اتنيل: يقصد بها اذهب استحم في النيل والنيل رمز الخير عند المصريين على عكس شيل النيلة بمعنى نبات النيلة.

جاك طين: يقصد بها ربنا يغنيك وتبقى من صاحب الأراضي والأطيان، وكانت في الصعيد قبل اختيار العروس لازم تكون مطينة بمعنى عندها أطيان.

روح شيل الطين: بمعنى لا تمسك في الدنيا كثيرًا وأنت ميت لا تأخذ معك طينا

عريان خرجت من بطن أمي وعريان أعود إلى هناك.

*** شعر فكاهي من الفلكلور**

كانت حياة الأقباط لا تخلو من المرح لأن المصري بطبيعته يحب المرح والضحك. وتوجد بعض أشعار فكاهية كانت تقال في أوقات المرح ولها لحن

ووزن خاص بها. وكانت تقال في الصعيد ومن أمثلتها الشعر الخاص بالديك والديك له رمز في المخطوطات القبطية وجد مرسومًا بها.

يا ناس البلد يا هو ديكي ديكي العايق سرقوه

القرار يكرر كل ربع كامل

1- ديكي ديكي ياما هيش هوش له شوشية مثل الطربوش

لما يتمخطر في الحوش يقولوا عمدة على البلد ولوه

2- ديكي ديكي ولد الرقطة عيط في سيوط وسمعوه طنطا

لما يأكل يلقط إردبين في لقطة ولما يعطش 30 سقة ما يقضوه

يا ناس البلد...

3- ديكي ديكي يا ما كان بتاع له شوشية تيجي 30 باع

والرجلين مليانين أصابع والمنقار بالقصبة قاسوه

يا ناس البلد...

4- ديكي ديكي ولد الحرة صيته ذاع في بلاد بره

لما يغني وسط الحضرة من المعلم (الريس متقال) متعزلوه

يا ناس البلد...

5- ديكي ديكي قال أنا جوعان خبزتلو 200 وقة رغفان

كلهن يا عالم وقال كمان حتى اللي عند الجيران كمان هاتوه

يا ناس البلد...

6- ديكي ديكي قعد وارتاح له شوشية من هنا للواح

بيت أنا والمدام في نواح على ديكي العايق اللي سرقوه

يا ناس البلد...

7- ديكي ديكي اسمه ماضي على جرجا عملوه قاضي

وبالوظيفة مهوش راضي قال أنا ريس في بلادي

يا ناس البلد...

8- ديكي ديكي اسمه سمعان ياكل من القمح الدبلان

شاطر في لخبيط الرغفان هلل وتعالي يا بو شوشية

يا ناس البلد يا هو ديكي ديكي العايق سرقوه

*** تعليق على بعض الكلمات**

كتبت هذه القصيدة أو الشعر الفكاهي في أسيوط وهذا تبين لنا من الربع القائل. عيط في سيوط سمعوه طنطا.

ويرجع تاريخ هذه القصيدة على حسب ترجيح الباحث إلى القرنين الـــ18، 19 وربما بداية القرن الـــ20، لكن ليست أقدم من هذا التاريخ أو حديثة عليه.

وربما كانت تقال هذه القصيدة في صلاة الميامر في الصعيد في البيوت طبعا بعد الانتهاء من الصلاة تقال في وقت المرح.

وأيضا القصيدة فكاهية وممتلائة بالمرح وتخلو من أي كلام بذيء أو جارح للشعور وهذه هي عادات الأقباط الصحيحة حتى في وقت المرح لا يتهكمون على أحد كما يحدث الآن.

وأيضا قد يكون الهدف من هذه القصيدة، تقضية وقت الفراغ أو المسمى بالبلدي بالونسة أو السهراية.

يا ناس البلد ياهو: بمعنى النجدة يا أهل البلد.

لما يتمخطر: يتمايل ويترنح.

الحوش: هو المكان المعد لتربية المواشي والطيور وعادة يكون خلف المترل في بيوت الأقباط في الريف والصعيد الأعلى ويعتبر جزءًا أساسيًا من العمارة المترلية القبطية ويشير إلى الخير والبركة داخل البيوت.

ولد الرقطة: ابن الفرخة المزينة بالريش الملون.

عيط في أسيوط سمعوه في طنطا: هنا نجد نوعًا من المغالاة في وصف الديك ربما نوع فكاهي.

شوشية: هي الجزء الأحمر فوق رأس الديك ويقال عليها أيضًا التاج.

30 باع: مغالاة أيضًا لأن الباع 40 سم X 30 = 1200 سم.

200 وقة رغفان: مغالاة أيضًا في أكل الديك لأن الوقه 5 أرغفه = X 200 1000 رغيف، لما ياكل بلقط إردبين في القطة: هنا نوع من المغالاة والزيادة لأن الإردب بيختلف حسب نوع الغلة في الوزن، فنجد مثلاً على سبيل المثال لا الحصر:

إردب السمسم 132 ك، وإردب الذرة الرفيعة 180 ك، وإردب الملوخية 156 ك، وإردب الذرة الشامي ويسمى البر 180 ك، وإردب الشعير 140 ك، وإردب القمح 192 ك. وطبعًا الديك لا يأكل إلا الذرة الرفيعة والشامية، يعني إردبين 180 X 2 = 360 ك في لقطة بمعنى في بلعة واحدة أو أكلة واحدة.

لما يعطش 30 سقا ما يقضوه: السقا زمان هو الرجل الذي يحمل قربة ماء وكان يلف على الغيطان يسقي الناس في أثناء الحصاد ويأخذ من حصاد الغيط

والقربة لازم تكون مصنوعة من جلد الماعز لسهولة الشرب. فنجد الديك هنا 30 سقا ما يقضوه شرب ماء.

والمنقار بالقصبة قاسوه: القصبة 3 أمتار وقبضتان فنجد منقار هذا الديك يقاس بالقصبة وهو نوع من المغالاة الفكاهية.

الخاتمة (الخلاصة)

* تبين لنا من دراسة الفلكلور والعادات والتقاليد الخاصة بالأقباط أنه يمكن استخلاص الوضع الاجتماعي والحياة الاجتماعية الخاصة بهم من خلال دراسة هذه العادات.

* يجب علينا حينما ندون التاريخ الخاص بالأقباط أن ندون العادات والتقاليد الخاصة بهم والحياة الاجتماعية ودورهم المهم جدًا في هذه الحياة ولا يقتصر التاريخ على الحوادث المشهورة.

* أيضًا بعض الألعاب الخاصة في الصعيد تدون وتسجل لأن لها الأصل الفرعوني القبطي.

* يجب عمل قاموس ناطق للهجات الصعيدية في الصعيد قبل القضاء على هذه اللهجات بواسطة الإعلام والتلفزيون.

* يجب احترام هذه اللهجات والعادات والتقاليد وأن تأخذ مركز الصدارة في الجمعيات الخاصة بالتاريخ والفنون والآثار.

* هناك أيضًا العديد من البرديات والأستراكات التي خرجت من الصعيد خاصة بالحياة اليومية عند الأقباط يجب دراستها دراسة شاملة.

لذا فنحن نوصي بالآتي:

- عمل قسم للدراسات القبطية في جامعات التاريخ والآثار المصرية.

- الاهتمام بدراسة اللهجات القبطية من قبل المتخصصين في هذا المجال.

- توثيق وتسجيل التراث الشفاهي القبطي المتمثل في الأمثال والقصص الشعبية والعادات والتقاليد.

- دراسة الفلكلور الشعبي القبطي في الجامعات المتخصصة.

* * *

المصادر:

- الكتاب المقدس.

- مخطوط عن أقوال الحكماء من القرن الـــ18 - مكتبة دير رئيس الملائكة ميخائيل بنقادة.

- محرم كمال - آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية - دار الهلال - 1956م.

- هلجاديل - ناصر البردنوهي - الحياة اليومية عند الأقباط قديما - إيبارشية النمسا 2004م.

- عميد الأدب العربي طه حسين - مستقبل الثقافة في مصر.

- س. هـــليدر - أبناء الفراعنة المحدثون - دراسة لأخلاق أقباط مصر وعاداتهم.

ترجمة أحمد محمود - دار الشروق - 2008م.

- تسجيلات شخصية من الباحث مع الناس الكبار في السن - نقادة - دير الملاك - مطرانية نقادة. 2007، 2008، 2009، 2010م.

- بردية مصرية بالمتحف المصري رقم 31199 - القاهرة - الدولة الحديثة الأسرة الـ20 - 1100 ق.م.

- رسم جداري بالمتحف القبطي - القاهرة رقم 8441 قرن الـ6 م - باويط.

- أستراكا بالقبطي الصعيدي - متحف المكتبة الوطنية بالنمسا - قرن 8/7.

- أستراكا بالقبطي الصعيدي - متحف المكتبة الوطنية بالنمسا - قرن 8.

- بردية قبطية صعيدية - متحف المكتبة الوطنية بالنمسا قرن 7.

- أستراكا بالقبطي الصعيدي - متحف المكتبة الوطنية بالنمسا - قرن 7.

- بردية بالقبطي الصعيدي - متحف المكتبة الوطنية بالنمسا - قرن 8.

- مجلة المقطم - سرقة جثة وجيه من وجهاء نقادة - 28 يوليو 1994م.

الصور الجدارية بالأديرة القبطية.. موضوعاتها وتقنياتها..

إيفيلين جورج إندراوس

كان لفن الأيقونة الجداري أهمية كبرى في بداية الفن القبطي، حتى إننا نجد كثيرًا من الأديرة القبطية ينتشر بها هذا الفن، مثل أديرة كيليا، ووادي النطرون، وسقارة، والنقلون، وأديرة البحر الأحمر، وأديرة سوهاج، وباويط، ودير الجنادلة، وأديرة إسنا وأسوان (شكل1).

أولاً: المواقع الأثرية لهذه الأديرة:

1) كيليا:

وُجدت الشواهد الأثرية لهذا الدير المركب في منطقة صحراوية مُقفرة في حافة أرض زراعية قريبة من الطريق الذي يربُط الإسكندرية بالقاهرة.. المنطقة تمتد مسافة 20 كم طولاً، و5 كم عرضًا، وهي تحوي نحو 2500 مبنى رهباني (منشوبية). والحياة الزُهدية في منطقة كيليا ظهرت نحو مُنتصف القرن الرابع، بعد الإنشاءات الديرية الأولى في «نتريا» (Nitrie)، وكان المُحرك للحياة التقشُفية في كيليا أمونيوس مؤسس الحياة الزُهدية في «نتريا». ولاتساع المؤسسة الديرية استلزم هذا إنشاء مبانٍ ديرية جديدة، فقرر إنشاء مؤسسة ديرية في الجنوب في منطقة صحراوية تُشجع على الحياة النُسكية.

2) وادي النطرون:

تقع منطقة وادي النطرون في نصف الطريق بين القاهرة والإسكندرية، غرب الصحراء. وهذه المنطقة أصبحت مركزًا نُسكيًا مع «نتريا» وكيليا، ليس في مصر القبطية فقط، ولكن في كُل المسيحية. وأصل النُسك والتوحد في وادي النطرون يرتبط بالقديس مقاريوس المصري، ويُقال أيضًا الكبير الذي اتجه نحو الأسقيط نحو 330 ليعيش حياة النُسك والتوحد. وذلك لمُلاءمة المكان للحياة الرهبانية بسبب

بُعده عن العالم، ووجود المياه على مسافة قريبة من سطح الأرض، ووجود نبات الحلفا والأعشاب لعمل القفف والحصير المُناسب للعمل اليدوي للرُهبان، وكذا وجود الطفل وطبقات الأحجار لعمل المباني الرهبانية البسيطة لسكن الرُهبان.

3) سقارة:

تُغطي أكبر فترة من تاريخها مُنذ العصور الأولى، حتى العصر القبطي، حيث نجد بقايا دير القديس أرميا في الجُزء الجنوبي من المنطقة الأثرية لسقارة، نحو 500 متر من هرم زوسر. ولا تزال تُرى آثار البازيليكا الكبيرة التي ترجع للقرن السابع وتحتها كنيسة من القرن السادس وآثار كنيسة المائدة والكنيسة الصغيرة، كما تُغطي المباني الرهبانية التي من الطوب اللبن مساحة كبيرة. كانت المرحلة الأولى للبناء في بداية القرن الخامس، وقد أُعيد الدير مرة أُخرى في عهد الإمبراطور Anastase من 491 حتى 518. أما الراهب Théodose فقد نوه بوجود دير بممفيس واحد مُكرس للقديس أبوللو، والآخر للقديس أرميا. واعتمد نسب الدير للقديس أرميا على الكتابات والنقوش والصور الموجودة في أثناء التنقيب.

4) النقلون:

لم تكُن منطقة النقلون قرية، بل هي جبل حجري مُرتفع يعلوه دير، وهذا الجبل يقع في الصحراء، شرق عزبة قلمشاة بمركز إطسا، وعلى بُعد 2500 متر منها. بدأت الحياة الرهبانية فيه من القرن الرابع، بدليل وجود مخطوطات تحوي قوانين رهبانية أرسلها الأنبا أنطونيوس لرُهبان هذه البرية قبل نياحته. ويُعتبر هذا الدير الوحيد في مصر كُلها الذي يحمل اسم (الملاك غبريال أو جبرائيل)، وقد دامت فيه الرهبنة قوية حتى القرن الـــ18.

5) دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر:

يقع في منطقة جبل الجلالة بالبحر الأحمر، ويُمكن الوصول إليه عن طريق الصف - الكُريمات - الزعفرانة، ثمُ الاتجاه جنوبًا (على اليمين) قبل فنار الزعفرانة بنحو 50 كم عند لافتة الدير والسير على الطريق الإسفلتي الجديد حتى باب الدير. اتفقت المصادر على أن أول نواة لبناء الدير أُقيمت في عهد الإمبراطور جوليان Julien (361 - 363)، وأُقيمت المُنشآت بواسطة تلاميذ الأنبا أنطونيوس.

6) سوهاج:

تواجه قُرى سوهاج وأخميم في مصر الوسطى الضفتين اليُسرى واليُمنى للنيل. تميزت المنطقة بالثراء الواضح في الآثار القبطية، وخُصوصًا الدير الأبيض والدير الأحمر بسوهاج. يقع دير الأنبا شنودة أو الدير الأبيض على بُعد 2 كم من أطلال أدريبة في الجنوب الغربي لمدينة سوهاج، وتقع أدريبة على بُعد 6 كم من مدينة سوهاج الحالية. وقد كان جبل أدريبة قبل القرن الرابع الميلادي مليئًا بالنُساك المسيحيين في هذا الإقليم. ويعود تاريخها إلى ما قبل الأنبا شنودة بزمن طويل، ولكن تاريخ الفترات التي تلت ذلك في نفس المكان نعرف عنها من تاريخ حياة الأنبا شنودة الذي عاش مع الأنبا بيجول خاله بعد وفاة والده، وكان في سن السابعة من عمره. وعاش أيضًا فترة من الوقت مع بشاي (رئيس دير مجاور لدير الأنبا شنودة فيما بعد). وبعد وفاة الأنبا بيجول أصبح شنودة رئيس الدير في عام 385م. أما الدير الأحمر أو دير الأنبا بشاي فيقع على بُعد 3 كم إلى الشمال من دير الأنبا شنودة، ولم يتبق منه اليوم سوى الكنيسة. ومن غير المعروف بدقة إذا كان الأنبا بيشوي (بشاي) هو مؤسس هذا الدير أم أن أحد الرُهبان قد أطلق اسمه على الدير.

7) باويط:

يُعد دير الأنبا أبوللو بباويط من أهم الأديرة الأثرية في مصر، حيث تملأ آثاره عددًا من صالات المتحف القبطي، والوصول إليه يحتاج إلى سيارة «جيب» أو السير في الرمال مسافة 4 كم شمال غربي قرية باويط أو 3 كم جنوب غربي دشلوط. ويبُعد الموقع 15 كم غرب ديروط. أول إقامة ديرية شُيدت بواسطة أبوللو في النصف الثاني من القرن الرابع رُبما بين 385 – 390.

8) دير الجنادلة:

تبُعد قرية دير الجنادلة 22 كم جنوب غربي أسيوط، ويقع الدير بعد 3 كم غرب القرية، ويبُعد 2 كم غرب طريق الغنايم. مُعظم آثار هذا الدير عبارة عن مغارات قديمة منحوتة في الجبل.

9) إسنا:

تقع على بُعد نحو 50 كم غرب الأقصر، ويقع دير الأنبا متاؤس الفاخوري على مسافة 16 كم شمال إسنا. أما دير الشُهداء فيقع على مسافة 5 كم جنوب غربي إسنا.

بدأ الأنبا متاؤس حياته في سلك الرهبنة بالقُرب من إسنا، حيث ترهب في أحد الأديرة الموجودة بإسنا، ثم رحل منه واستقر به المطاف في أصفون، حيث أسس ديره في القرن السابع أو الثامن الميلادي أيام البطريرك الإسكندروس الثاني، وأقبل عليه كثير من الرُهبان.

10) أسوان:

تمتد مُحافظة أسوان أثريًا من منطقة الكاب (22 كم شمال إدفو) شمالاً إلى

أبو سمبل (280 كم جنوب أسوان) جنوبًا. أما آثار دير مارجرجس فتوجد بالضفة الغربية من نيل أسوان تحت قُبة الهواء، وبجوار مقابر النُبلاء. وتظهر مباني الدير من الطوب اللبن من الضفة الشرقية. أما دير الأنبا هدرا فيقع في الضفة الغربية من نيل أسوان خلف قبر أغاخان، ويُعد عنه نحو بضعة كيلومترات شمالاً.

ثانيًا: التقنية الفنية للصور الجدارية القبطية:

استُخدم التصوير بالفريسك في الصور الجدارية القبطية، وذلك باستخدام طبقة واحدة من ملاط الطين المزوج بالتبن ليبدو كعجينة تُفرد بواسطة المسطرين على السطح الجداري الذي غالبًا ما كان مصنوعًا من قوالب الآجر والأحجار الجيرية أو الرملية، ثم تُوضع عليها طبقة خفيفة من الجير الأبيض وعليها طبقة أُخرى من الجير المزوج بقليل من الجبس أو الرمل الناعم، ثم تبدأ عملية التصوير قبل أن يجف الطين. وقد شاع استخدام هذه الطريقة في مصر مُنذ نهاية القرن الثاني الميلادي حتى مُنتصف القرن السابع الميلادي كأحد الأساليب الفنية للتصوير القبطي. ومن أمثلة ذلك مُعظم التطبيقات التي سنتناولها بالدراسة، وأخُص صور باويط ودير الأنبا أرميا بسقارة وكيليا. أما الطُرق الأُخرى التي تعتمد على نوع الوسيط اللوني، فقد كانت التمبرا الذي يُستخدم فيه الغراء أو الصمغ أو الجيلاتينية أو صفار البيض هي الطريقة المُتبعة في مُعظم الصور الحائطية في الفن المسيحي الشرقي، وأيضًا الكازين الذي يُستخدم فيه مسحوق من اللبن المتروع الدسم مع الصمغ، فقد استُخدم في العصور الوسطى. أما الطريقة التي انتشرت في العصر المسيحي التي كانت مُتبعة في مصر مُنذ أوائل العصر الروماني فهي طريقة الشمع (الأنكوستيك)، والذي كان الوسيط اللوني فيه من شمع العسل وزيت الكتان أو الدمار (الورنيش). وبالنسبة للأدوات فقد استُخدمت أدوات مُشابهة جدًا لتلك التي

تُستخدم في العصر الحديث. وقد عُثر على فُرش بدير أبيفانيوس في طيبة، وقد كان بعضها صغيرًا ومصنوعًا من الحلفا، وكان البعض الآخر كبيرًا ومصنوعًا من شرائح الخوص. أما الألوان فقد كانت إما مأخوذة من مصادر طبيعية، وإما أن تكون مُصنعة.

ثالثًا: موضوعات الصور الجدارية بالأديرة القبطية:

1) العناصر الزخرفية:

استعان الفنان القبطي بالأشكال الهندسية في تصويره (شكل2). وقد تنوعت العناصر الزُخرفية من شكل الدائرة، والمُربع، والمُثلث، والمُعين، والأشكال الرُباعية، والسبوستيكا (الصليب المعقوف)، والشرائط المجدولة، والطبيعة الصامتة من أوانٍ ومراكب. وقد استُخدمت كُل هذه الأشكال إما كعُنصر زُخرفي في حد ذاته، وإما كحلية لزخرفة عناصر أُخرى. وقد كانت الدائرة من العناصر المُحببة لدى الفنان القبطي، فصورت بمُختلف أحجامها، وكانت إما مُزينة بشرائط مجدولة، وإما بأشكال وردات، أو بشكل حبات اللؤلؤ، أو تُحيط بأشخاص نصفية، كما استُخدمت في زخرفة الملابس، وخُصوصًا في دير الملاك غبريال بالنقلون ودير الفاخوري بإسنا أو في زخرفة بعض العناصر الحيوانية كما في دير الشُهداء بإسنا. وقد استمر شكل الدائرة كعُنصر للتصوير حتى فترة مُتأخرة. وقد استعان الفنان القبطي بشكل المُربع والأشكال الرُباعية في دير أبو مقار، والمُعين والمُثلث وشكل السبوستيكا بمنطقة باويط وسقارة. أما شكل الشرائط المجدولة فقد استُخدم بكثرة في منطقة كيليا.

وقد تبنت بعض المناطق أشكالاً بعينها مثل مناظر المراكب المُبسطة

والمرسومة بصورة تخطيطية، وأيضًا أشكال الأواني مع الأفُرع النباتية أو الكروم بمنطقة كيليا (شكل3). كما طرأت بعض التغيُرات في أسلوب الفنان القبطي من الأسلوب التصويري المُمثل في منطقة كيليا وباويط والدير الأحمر بسوهاج إلى الأسلوب الزُخرفي، مع التغير لبالتة ألوانه في بعض المناطق مثل دير أبو مقار بوادي النطرون الذي تميزت تصاويره الزُخرفية بتحديد الأشكال بخطوط سوداء مع تشابُك وتضافُر العناصرِ بصورة تامة. أما في أديرة إسنا فقد حُددت العناصر بخطوط أحيانًا باللون الأحمر.

أما الرسوم النباتية والحيوانية فكان لها النصيب الأكبر في منطقة كيليا، حيث صُورت أشكال من الزهور داخل ميداليات مع حليات هندسية، كما صُورت فروع الكروم مع أوراق وثمار بأسلوب تصويري. أما الأشجار فقد كانت من العناصر الأكثر تصويرًا، صورها الفنان القبطي وسط أدغال من الزهور والنباتات تتمايل أغصانها مع الريح في ليونة وبساطة الخطوط ورقة الألوان بأسلوب تصويري جميل، كما نجد بعض الأشجار مُزدوجة اللون تُشبه أشجار أرز لبنان على أرضية من الأعشاب والزهور مع بعض الكتابات القبطية لأشخاص يطلبُون الرحمة من الخالق. أما أشجار النخيل، حيث ريف مصر، فقد عبر الفنان القبطي عنها بكثرة، بحيث نستشعر منها الإحساس بالحركة والكُتلة والتجسيم، وذلك من خلال أشكال الجذوع التي أحيانًا تُصور على هيئة ثلاث كُتل دائرية أو ككُتلة واحدة. أما شجرة الحياة فقد صُورت وسط أفرُع نباتية رقيقة.

وبالإضافة لذلك، فقد صور الفنان القبطي البيئة المُحيطة به من زهور ونباتات ومناظر طبيعية ومناظر نيلية تنُم عن حس مُرهف، إلا أنه لسوء الحظ لا يوجد منها إلا القليل التالف.

أما في منطقة باويط فقد زخرف الفنان مبانيه بعناصر نباتية مُجردة يصعُب تحديد هويتها، وُزعت في صفوف أو صُورت داخل مُعينات بأسلوب تصويري.

وفي دير أبو مقار بوادي النطرون ازداد حجم العناصر النباتية، كما ازدادت فروعها وتنوعت أشكالها، كما أصبحت أكثر تحويرًا عما سبق، فنلمح فيها الميل إلى الزخرفة البحتة وإلى الشكل الهندسي مع الثراء في الألوان.

أما بالنسبة للحيوانات البحرية فقد كان شكل السمك من العناصر المُفضلة في التصوير القبطي، وذلك لأهميتها الرمزية في الكنيسة القبطية. وقد أكد الفنان ذلك من خلال الكتابة على أحد النماذج بمنطقة كيليا باللُغة اليونانية «يسوع المسيح الغالب (المُنتصر)».

أما الحيوانات البرية فقد أكثر الفنان القبطي من تصوير الأسود والأرانب والغُزلان، وخُصوصًا بمنطقة كيليا، إلا أنه كان هُناك قليل من رسوم الجمال والحيوانات الخُرافية. وقد صور الفنان الأسود إما في شكل مُزدوج على جانبي المدخل نلمح بها الحركة والتنوع وعدم التزام الفنان بالتماثُل، وإما صُورت بوجوه عابسة.

ونلمح حس الفنان لطبيعة الحيوانات (أرانب وغُزلان)، والتعبير عنها بخطوط انسيابية مع رشاقة الحركة. وقد تميز دير الأنبا بيشاي بسوهاج باهتمام الفنان بالقيم التشريحية للحيوانات.

وصور الفنان القبطي أيضًا أنواعًا من البط والطاووس والنسور إما مُنفردة كعُنصر زُخرفي (وفي هذه الحالة تُصور إما مُبسطة وإما أقرب إلى الطبيعة)، وإما تُصور مع عناصر أُخرى مثل تصويرها على جانبي الصليب.

2) جدارية العذراء والطفل:

لقيت جدارية العذراء الثيوطوكوس أهمية خاصة في الفن القبطي، حيث إننا نجدها دائمًا مُصورة في حضن الآب مع منظر المسيح في مجده الذي ظل غير مُتغير. أما منظر العذراء الثيوطوكوس فقد اتخذ شكلاً أكثر حُرية في التصوير والرسم، فنجد السيدة العذراء إما مُنفردة، رافعة ذراعيها إلى أعلى كما لو كانت في حالة صلاة، بين مجموعة من الرُسل، أو نجدها جالسة على العرش وطفلها يسوع بين ذراعيها أو على صدرها، مُحاطة من الجانبين إما بملاكين (ميخائيل وغبريال) أو باثنين من القديسين المحليين أو بمجموعة من الرُسل، وفي الغالب تُصور السيدة العذراء يمين الطفل يسوع الذي يمسك في يده اليُسرى الإنجيل ويُشير بيده اليُمنى بعلامة البركة، وذلك كما يُصور المسيح باندوكرانور. وبالإضافة لذلك، نجدها كأنها تمسك في يدها جُزءًا من صورة ابنها، وهذا ما يُسمى «clipeus» κλίπεοδ، وهي كلمة لاتينية تعني «ترسًا دائريًا يُغطي الرأس والجُزء العلوي للجسم حتى الرُكبة»، وهذا الشكل تعبير لقُرب المنظر من صور الأطفال المُنتصرين في الفن الروماني، وهو أكثر الأنماط انتشارًا في العصور الوسطى في الفن القبطي.

أما منظر العذراء المُرضعة (شكل4) فقد أجمع الكثير من العُلماء فلى أنها أقدم مناظر الحنايا، وهو المنظر الذي أُطلق علية اسم γαλα - τοτροφούσα، وتعني «المُرضعة». والكلمة من الفعل اليوناني γαλακτο - τροφω وتعني «يُغذي باللبن».

3) جداريات تصور حياة السيدة العذراء:

نجد أن الموضوعات التي تُصور حياة العذراء ارتبطت أكثر بحياة السيد

المسيح، والبعض ارتبط بمواقف مرت بحياتها، وكانت منطقتا باويط ودير السُريان بوادي النطرون هُما أكثر المناطق تصويرًا لهذه الأحداث. ومن هذه الأحداث التي ارتبطت بمواقف مرت بحياة السيدة العذراء مناظر زيارتها لأليصابات نسيبتها، والتي تُعتبر من الموضوعات قليلة التصوير، والنموذج الذي اعتمدنا عليه من باويط يُصور السيدة العذراء تُقبل نسيبتها في شكل احتضان (شعبية الفن القبطي). وهذا يوضح عفوية التعبير عند الفنان القبطي، حيث إن القصة في الإنجيل توضح خدمة السيدة العذراء لها مُدة ستة أشهر في أثناء الحمل.

أما رحلة السيدة العذراء إلى بيت لحم فتُعتبر من الموضوعات قليلة التصوير أيضًا. ويُميز هذه الرحلة عن رحلة العائلة المقدسة إلى مصر عدم تصوير الطفل يسوع معها ومع يوسف النجار.

أما منظر نياحة العذراء فقد صُور في أقدم فريسكا لنياحة العذراء في دير السُريان بوادي النطرون التي تؤرخ بالقرن العاشر وتُلقب بــ(الفريسكا القبطية) الملاك ميخائيل واقفًا خلف سريرها. والمعروف عن الملاك ميخائيل أنه يُصاحب أرواح المُنتقلين. أما في الفريسكا السريانية بدير السُريان (شكل5) أيضًا فقد صُور السيد المسيح خلف سريرها، يحمل في يديه روح السيدة العذراء المُمثلة في هيئة شابة أو طفلة، ومُقمطة بشرائط بيضاء مثل لفائف الكتان. ويُعتبر هذا التكوين أكثر انتشارًا، ونراه أيضًا في فنون العالم المسيحي.

أما بالنسبة للموضوعات التي ارتبطت بحياة السيد المسيح، فمنها مناظر البشارة التي كان من الصعب عمل مُقارنة بينها، وذلك لقلة النماذج، وتفرُد كُل نموذج بتكوينه الخاص، إلا أنه في الغالب يُصور الملاك غبريال مع السيدة العذراء،

كما في باويط ودير السُريان (شكل6)، ما عدا نموذج من دير السُريان يُصور معهُما أربعة من الأنبياء وهُم: أشعياء وموسى وحزقيال ودانيال، يحملون لفافات نُقش عليها آيات من أسفارهم والتي تتنبأ عن السيدة العذراء. ويُعتبر هذا التكوين غريبًا وجديدًا وليس له مثيل في العالم المسيحي. ورغم قُرب هذا المنظر من الفترة الزمنية لنموذج باويط، فإنه يختلف عنه من حيث الشكل والمضمون، كما يُرى أنه أقرب للفن البيزنطي من حيث استطالة الأجسام والأوضاع وتسريحات الشعر.

أما منظر الميلاد فيُعتبر أيضًا من الموضوعات قليلة التصوير في التصوير الجداري، كما أن كل نموذج يختلف عن الآخر من حيث التكوين، مما أضعف من دراسة المُقارنة. ففي باويط صُورت سالومي (القابلة) كما تذكُر النصوص الأبوكريفية غير القانونية، أما في نموذج دير السُريان فقد جمع الفنان بين قصة الرُعاة والمجوس المذكورين في الإنجيل.

4) الجداريات التي تصور السيد المسيح:

تعددت وتنوعت الجداريات التي تُصور السيد المسيح، فنجده إما واقفًا أو جالسًا يُحيطه التلاميذ أو داخل دائرة تحملها الملائكة أو بمُفرده. أما بالنسبة لمنظر المسيح الباندوكرانور (شكل7) فقد كان من أكثر الموضوعات المُصورة في الفن القبطي، وخُصوصًا في التصوير الجداري، وذلك لأهميتها كمادة للتصوير في الحنية (حضن الآب)، بالإضافة إلى الأهمية العلمية من خلال دراسات الباحثين المُتعددة لمعرفة المفهوم المقصود من هذا الشكل والتأثيرات الفنية عليه، حيث ذهب البعض إلى أنه الصعود الإلهي. أما البعض الآخر فذهب إلى أنه المجيء الثاني، وآخرون عبر عن الفكرة اللاهوتية التي تُجسد فكرة السيد الحاكم الذي سوف يأتي ويحكُم آخر الزمان. إلا أنه من المفاهيم التي يؤخذ بها هو ربط الفنان بين موضوع العذراء

الثيوطوكوس الجالسة أو الواقفة بين الرُسل، كتجسيد لناسوت المسيح، مع منظر المسيح الباندوكرانور العلوي بما يحمله من رموز مُختلطة من العهدين، كتجسيد للاهوت المسيح.

أما التكوين المُعتاد في تصوير المسيح الباندوكرانور حتى فترة مُتأخرة، والذي تُكتمل عناصره، يتميز بظهور المركبة السماوية بعجلاتها، تحمل السيد المسيح وتسندها الملائكة، وملاكان آخران يُقدمان الأكاليل، بأجنحة مملوءة عيونًا، مع رسم الأربعة مخلوقات غير المُتجسدة، كما تظهر الشمس والقمر، وقد لا نجد بعضًا من هذه العناصر في الصور الجدارية القبطية أو نجد بعضًا من الشخصيات المُقدسة.

وقد تنوع شكل السيد المسيح، فقد نجده أحيانًا من دون لحية أو ملتحيًا، وإن كُنا نجد منظر السيد المسيح باللحية نادرًا في القرون الثلاثة الأولى، ولكن ابتداء من القرن الرابع فصاعدًا، صار كلا الطرازين شائعًا. أما بالنسبة لتنسيق شعر السيد المسيح فقد تدرج نحو نوعين، إما أن يُنسق بشكل حزمتين كثيفتين فوق الأُذن وإما أن ينسدل في جدائل مُتموجة طويلة فوق الكتفين. كما استعان الفنان بأسلوبين في إيماءة البركة الأولى بالشكل الإغريقي الذي يلمس فيه الإبهام قمة الإصبع البنصر مع بسط بقية الأصابع، والثاني بالشكل اللاتيني، حيث يوضع الإصبعان الوسطى والسبابة مُقابل الإبهام مع بسط بقية الأصابع.

5) الشخصيات المقدسة:

صورت الشخصيات المُقدسة من أنبياء ورُهبان وقديسين إما في مجموعات في صفوف مُنظمة وإما غير مُنظمة أو مُنفردين في وضع الوقوف أو الجلوس، مُمسكين إما بكتاب أو صليب أو بمفاتيح أو غيرها، أو قد نجدهُم داخل أشكال

هندسية من دوائر بسيطة مُختلفة الأحجام أو بجدولة أو مُزينة بحبات اللؤلؤ أو مُثلثات.

فنجد في تصوير الشخصيات بطريقة غير مُنظمة بعض الأشخاص في خلفية المنظر بحجم صغير وعلى مُستوى أرضية مُختلف عن الآخرين أعطى الإحساس بالعُمق والمنظور ووجدنا مثل ذلك كثيرًا في كيليا وباويط، وقد نثر الفنان بعض العناصر النباتية في أرضية المنظر.

أما تصوير الشخصيات المُقدسة في مجموعات وبصورة مُنظمة فقد كان من الأساليب المُعتادة في الفن القبطي، وقد استعان الفنان القبطي لكسر رتابة التماثُل وجمود الأوضاع باختلاف الأطوال أو من خلال حركات اليد واختلاف الملامح وأوضاع الكتب أو باختلاف درجات ألوان الملابس بالتبادل، كما ساعد التزام الفنان بالسيرة الذاتية للشخصيات من الحد من جمود الأوضاع. وفي أحد النماذج رسم الفنان شخصية راكعة ساعدت على استخدام الخطوط الأُفقية وقللت من حدة الخطوط الطولية، وبذلك استخدم الفنان التنوع مع التماثُل ليُريح عين المُشاهد. وفي هذا الأسلوب وجدنا بعض الهالات المُربعة وهي للدلالة على الأشخاص الأحياء، أما الهالة المُربعة داخل هالة دائرية فتُمثل العبور من حياة الدنيا إلى الآخرة، كما استخدم الفنان بعض العناصر المعمارية للفصل بين شخصياته المُنظمة في صفوف، وذلك برسم الشخصيات داخل أروقة كما في باويط ودير السُريان ودير الأنبا أنطونيوس.

وبالنسبة للشخصيات المُصورة مُنفردة فقد التزم الفنان بالسيرة الذاتية للقديس كما في المناظر التي تُصور مار مينا الجُندي الروماني، فبدلاً من أن يُصور

فارسًا، يُصور واقفًا بين جملين كما في المنظر التقليدي له الذي صُور له في أثناء نقل جسده. أما يوحنا المعمدان فيُرسم مُمسكًا بقُرص بداخله حيوان (حمل)، ويُشير باليد الأُخرى عليه، وذلك لتأكيد ما ذكره القديس عن السيد المسيح «هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (شكل8).

ويجب أن ننوه باتباع بعض المناطق الأسلوب التصويري كمنطقة كيليا، بينما اتبع البعض الآخر الأسلوب الزُخرفي في تحديد الأشكال بخطوط سوداء، مما أعطى لمناظر الشخصيات السمة الزُخرفية كدير أبو مقار بوادي النطرون ودير الشُهداء والفاخوري بإسنا ودير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر.

أما بالنسبة لمناظر القديسين الفُرسان فقد كانت من الموضوعات الشائعة لأهميتها الرمزية، وأيضًا كان هُناك كثير من القديسين والشُهداء في كتيبة الجيش الروماني كضُباط. إلا أننا نجد في منطقة كيليا التي كثر بها التصوير بلون واحد بعضًا منهُم رُسم كقديس في الوقفة التقليدية يرتدي الزي الروماني، أو قد نجد بعض الرُهبان رُسم كفُرسان كما في باويط رُبما للتأكيد على الجانب الرمزي وهو الانتصار على الشر. وقد كثر رسم الفُرسان في مجموعات في باويط. أما الأسلوب المُعتاد في الفن القبطي فهو تصويرهُم مُنفردين مع تصوير قصص من حياتهم في بعض الأحيان كما في دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر (شكل9).

6) الملائكة:

تعدُد مناظر الملائكة في الفن القبطي إما كموضوعات مُستقلة صُور فيها صفوف الملائكة مُتشابهين في الملامح وتسريحات الشعر والزي والأوضاع، يمسك كُل منهُم قُرص القُربان كما في سقارة أو لواء بيد وقضيب ينتهي بصليب باليد

الأُخرى أو صوروا مع الشاروبيم كما في دير الأنبا أنطونيوس أو مع الساروفيم كما في (شكل10).

أو يُصور الملائكة في مجموعات ومُرتبطين بموضوعات أُخرى كالميلاد ومنظر المسيح الباندوكرانور وغيرها. وقد رُسموا في مُعظم الأحوال في وضع الطيران.

أما بالنسبة لرسوم رؤساء الملائكة ميخائيل وغبريال فقد ارتبطت بموضوع المسيح الباندوكرانور والعذراء الثيوطوكوس وموضوع البشارة، وقد بدوا في وضع الوقوف والمواجهة، أمسك كُل منهُما قُرصًا بيد وقضيبًا ينتهي بصليب باليد الأُخرى، وفي إحدى الجداريات بإسنا صوروا في وضع الانحناء. أما تصويرهم مُنفردين فقد كان أقل شيوعًا، فصوروا في باويط ودير أبو مقار بوادي النطرون.

وفي مُعظم الأحوال رُسم الملائكة بشعر قصير ومُتوج بأكاليل، أما رؤساء الملائكة فقد صوروا في بعض الأحوال بشرائط مُحلاة من الوسط بما يُشبه الحجر الكريم المرسوم بشكل لوزي كما في دير الأنبا أنطونيوس.

أما بالنسبة للمناظر التي تُصور السيرافيم والشاروبيم فقد ارتبطوا في جميع الأحوال بموضوعات أُخرى، وقد مُيز بين كُل منهُما طبقًا لحزقيال الشاروبيم لديهم أربعة أجنحة، أما الساروفيم طبقًا لأشعياء فلديهم ستة أجنحة، كُل منها مُمتلئة أعيُنًا. وقد لوحظ أثناء الدراسة أن الفنان القبطي لم يُصورهُم في مُعظم الأحيان في منظر المسيح الباندوكرانور، ورسم الأربعة مخلوقات غير المُتجسدة، رغم أهمية تصويرهُم في هذا الموضوع.

ومن كُل هذا يجب مُلاحظة التنوع في الأساليب والأشكال في أشكال الملائكة، وقد ساعد على هذا التنوع شخصية كُل منطقة عن الأُخرى في تصوير موضوعاتها.

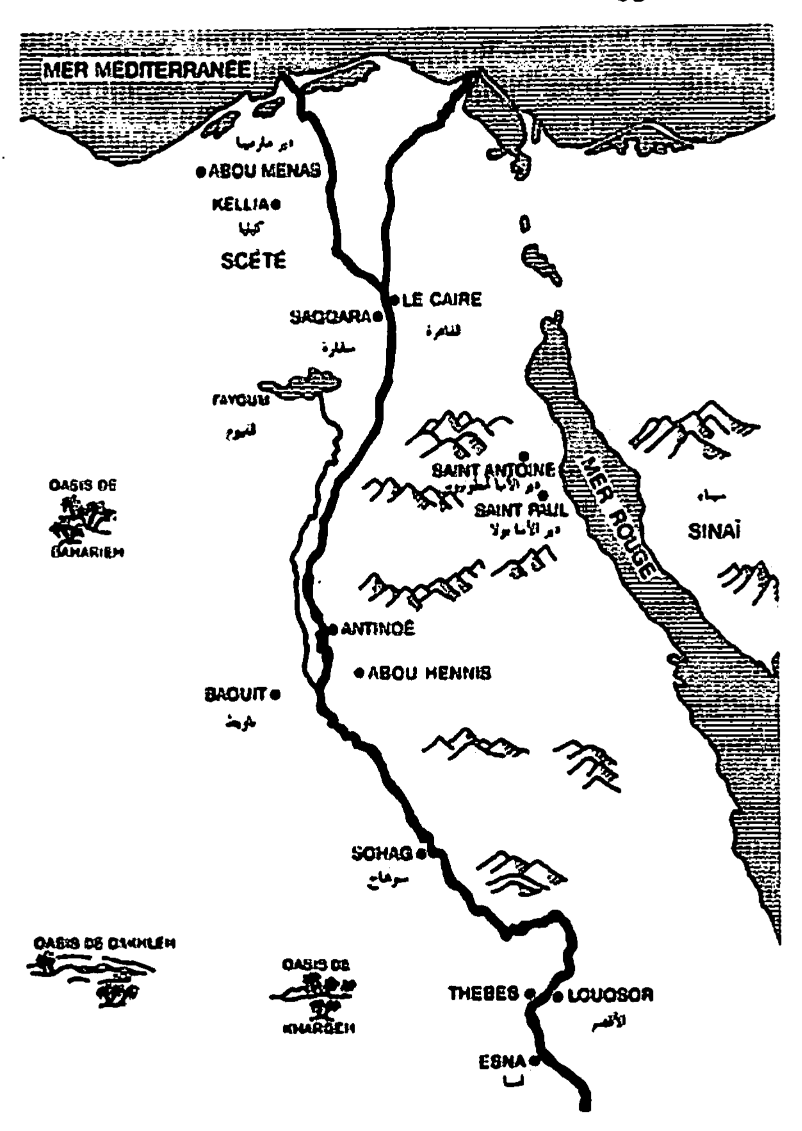
7) مناظر من العهدين القديم والجديد:

ربط الفنان القبطي في بعض موضوعات العهد القديم والجديد بين موضوع وآخر، رُبما لارتباطهما من حيث التكوين والمضمون كما في منظر تضحية إبراهيم ويفتاح، حيث يُصور كُلاً منهُما مُمسكًا بقوة بشعر الضحية ويسحبه إلى الخلف حتى أوشك الوجه أن يتجه لأعلى، أما اليد الأُخرى فمُمسكه بآلة حادة، موضوعة على رقبة الضحية التي ترتدي في كُل من الموضوعين تنورًا من أسفل، أما الصدر فعارٍ. ورُبما ربط الفنان بين الموضوعين لارتباطهما من حيث التكوين والأسلوب والألوان كما في موضوع تقدمة ملشيصادق وتطهير شفتي أشعياء، الذي تبدو فيه الشخصية بهيئة شيخ يتناول من شخصية أُخرى (ملشيصادق أو الشاروبيم) شيئًا (الكأس أو الجمرة). ورُبما ربط الفنان أيضًا بين موضوعين لارتباطهما بنص كتابي كما في موضوع حلم يعقوب (من العهد القديم) الذي يرى فيه السماء مفتوحة وملائكة الله تنزل وتصعد على سلم. وموضوع مُقابلة السيد المسيح لنثنائيل (من العهد الجديد)، حيث يقول السيد المسيح لنثنائيل «الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان». بالإضافة لذلك، اهتم الفنان بتصوير العمل الفني كما هو مُسجل في النص الكتابي، فنجده في أحد الأعمال بدير أبو مقار بوادي النطرون (شكل11) يُصور في موضوع تضحية إبراهيم خُدامه يصطحبون حمارًا، وذلك كما قال لهم إبراهيم أن ينتظروه حتى يعود، ومنظر ملاك (ملاك الرب) يُحذر إبراهيم من ذبح ابنه. وأيضًا في منظر الثلاثة فتية في أتون النار، صُوروا بملابس فارسية مع تصوير الملك نبوخذ نصر جالسًا على العرش وحوله الوزراء أو حاملو الرُمح، وذلك كما هو مذكور في العهد القديم أن الملك نبوخذ نصر سبى الثلاثة فتية إلى بابل ووقع عليهم الاختيار

مع رفيقهم دانيال ليكونوا في قصر الملك، وصاروا ولاة على بابل، إلا أنهم رفضوا السجود للتمثال الذي نصبه الملك فأمر بإحراقهم في أتون النار، لكن ملاك الرب حرسهم، لذلك نرى ملاكًا في أحد المناظر بدير الأنبا أنطونيوس مُمسكًا بقضيب يضعه أمام الثلاثة فتية. وفي موضوع بشارة زكريا رسمه الفنان أمام مذبح وملاك واقف أمامه، وذلك كما هو مذكور في النص الكتابي أنه ظهر له ملاك وهو يُصلي في الهيكل. ومن المُلاحظات النادرة أن الفنان القبطي في دير الأنبا أنطونيوس سجل أسماء الذين قاموا برسم هذه المناظر وهم: تادرس الذي لقب نفسه في هذا السجل «ابن الأُسقف غبريال أسقُف أطفيح» وفريقه، كما ظهرت الكتابة بحروف الخط الكوفي في نفس الدير.

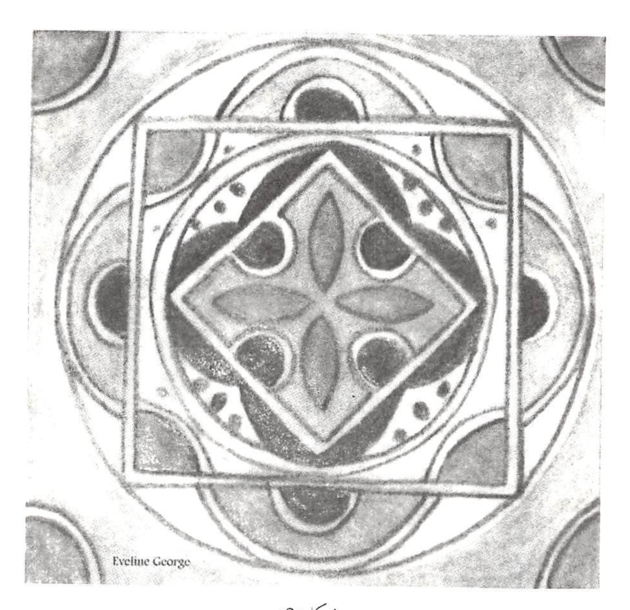
بالإضافة لذلك، صُورت الموضوعات وسط مناظر طبيعية صخرية أو جبلية أو غيرها بحيث تتفق مع الموضوع المُصور والنص الكتابي.

الصور



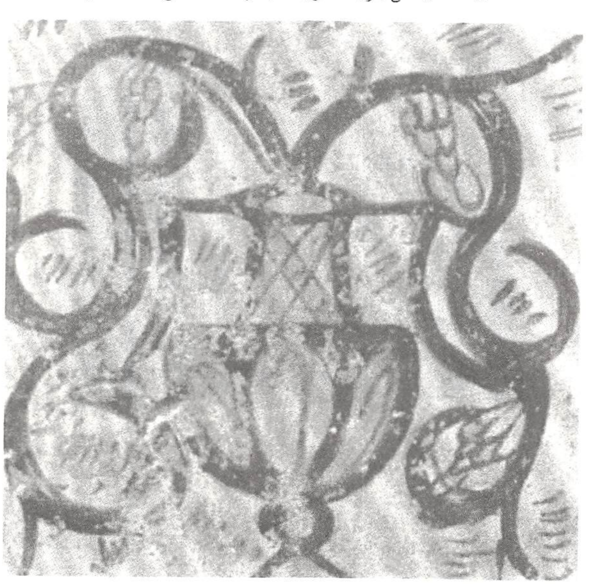
MER MEDITERRANÉE
دير مارمينا
ABOU MENAS
KELLIA
كيليا
SCÉTÉ
LE CAIRE
القاهرة
SAQQARA
سقارة
FAYOUM
الفيوم
SAINT ANTOINE
SAINT PAUL
دير الأنبا بولا
MER ROUGE
سيناء
SINAÏ
OASIS DE
BAHARIEH
ANTINOÉ
ABOU HENNIS
BAOUIT
باويط
SOHAG
سوهاج
OASIS DE DAKHLEH
OASIS DE
KHARGEH
THEBES
LOUQSOR
الأقصر
ESNA
إسنا

شكل (1)



شكل(2)

أشكال هندسية من باويط، مؤرخة بالقرن «الخامس - السادس».



شكل (3)

إناء من كيليا



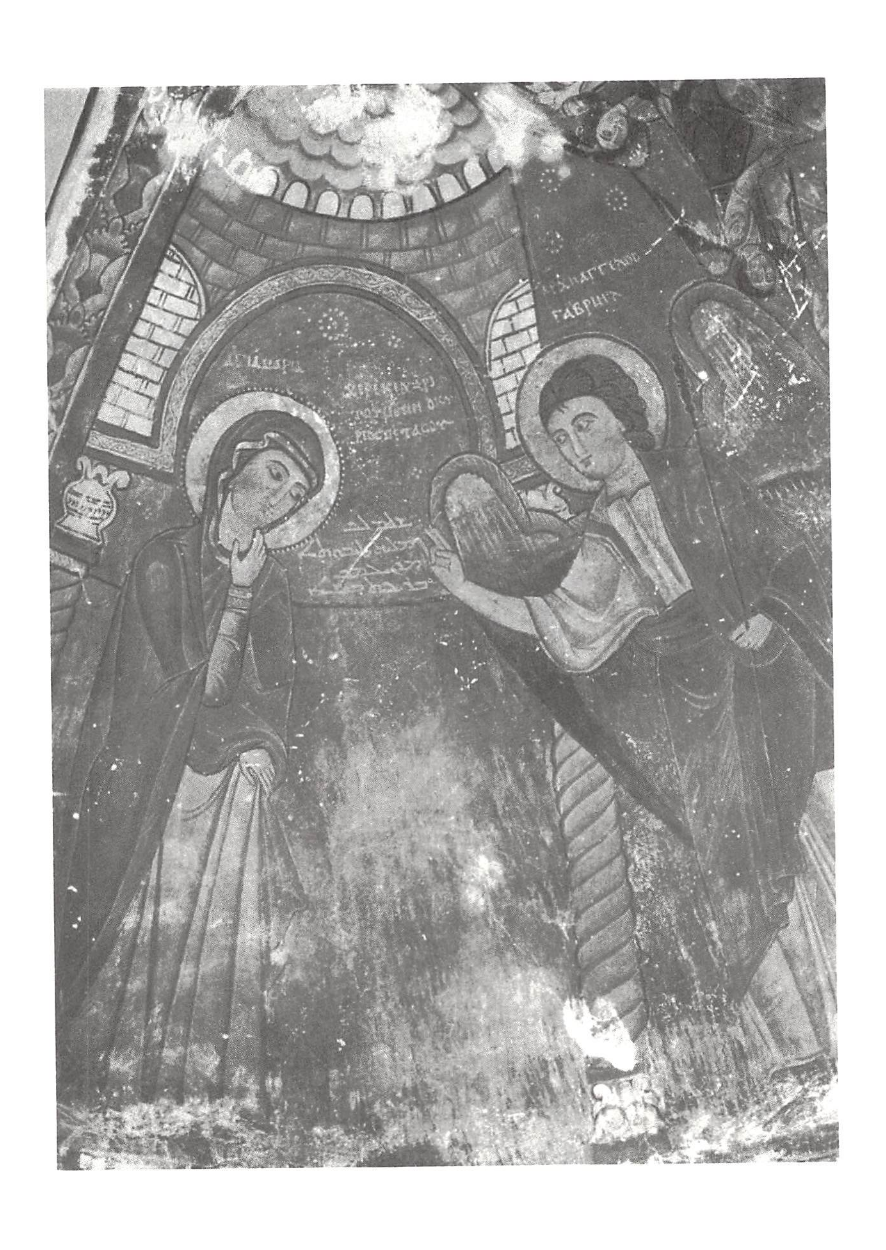
شكل (4)

العذراء المرضعة – دير السريان



شكل(5)

نياحة السيدة العذراء - دير السريان



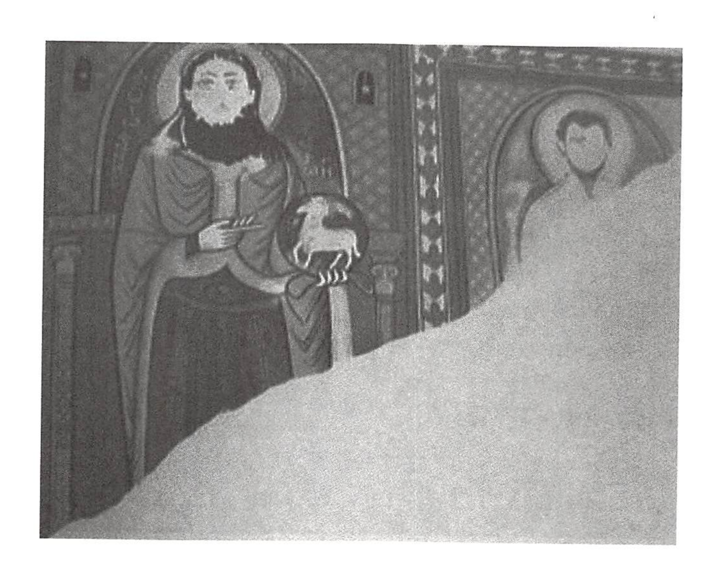
شكل (6)

البشارة - دير السريان



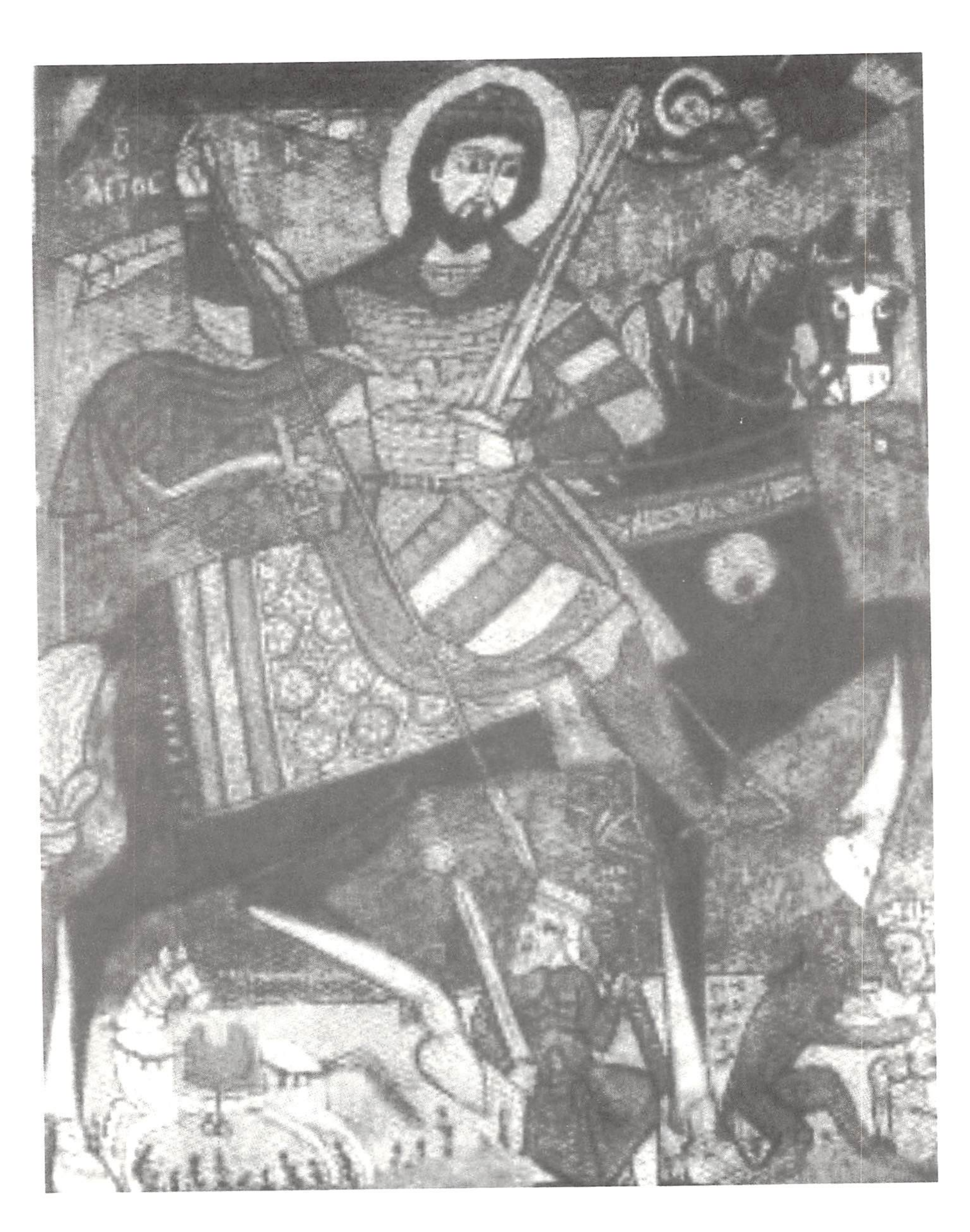
شكل (7)

جدارية المسيح البندوكراطور - باويط



شكل (8)

جدارية يوحنا المعمدان - دير أبو مقار بوادي النطرون



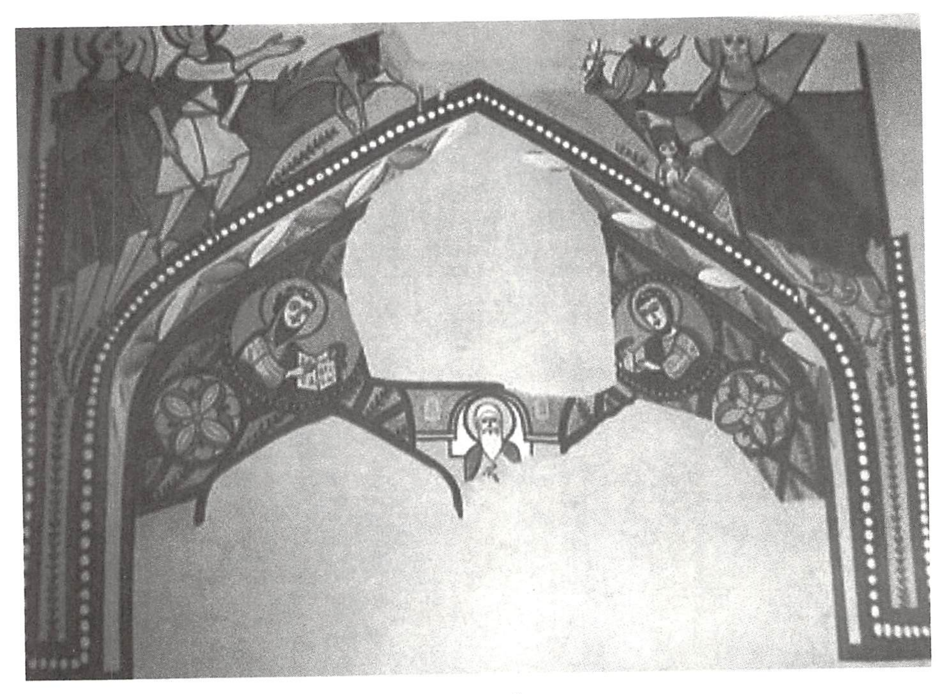
شكل (9)

القديس والشهيد مارقوريوس - دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر



شكل (10)

جدارية لملاك والساروفيم - دير الأنبا متاؤس الفاخوري بإسنا



شكل (11)

تضحية إبراهيم - دير أبو مقار بوادي النطرون

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

1) صموئيل السرياني (أسقُف)، الدليل إلى الكنائس والأديرة القديمة من الجيزة إلى أسوان، القاهرة.

2) ________________، الكنائس والأديرة القديمة بالوجه البحري والقاهرة وسيناء، القاهرة، 1995.

3) عزت زكي حامد قادوس وآخرون، الآثار والفنون القبطية، الإسكندرية، 2002.

4) محمد رمزي، «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين حتى سنة 1945»، القسم الأول، البلاد المندرسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،.1994

5) ___________، «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين حتى سنة 1945»، القسم الثاني، البلاد الحالية، الجُزء الرابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، .1994

6) نبيه كامل داود، تاريخ المسيحية وآثارها في أسوان والنوبة، مُراجعة جودت جبرة، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، 2003.

ثانيًا: المراجع العربية المترجمة:

7) الفريد لوكاس، المواد والصناعات عند قُدماء المصرين، ترجمة زكي إسكندر & محمد زكريا غنيم، القاهرة،.1945

8) ك. ك. والترز، الأديرة الأثرية في مصر، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

9) Aziz S. Atiya, The Coptic Encyclopedia, vol 6, New York, 1991.

10) Jean Clédat, Le Monastére Et La Nécropole De Baouit, Mifao, 1999.

11) J. E. Quibell, Excavations At Saqqara (1907-1908), Le Caire, 1909.

12) Jules Leroy, Couvents Du Désert D'Esna, Mifao, 1975.

13) ---------------, Les Peintures Des Couvents Du Ouadi Natroun, Mifo,1982.

14) Monneret De Villaro, Les Couvents Près De Sohâg)Deyr El - Abiad Et Deyr El Ahmar), Vol. II, Milan, 1926.

15)Otto Meinardus," Christian Egypt, Ancient And Modern", The American University In Cairo Press, Cairo, 1977.

16) Paul Van Moorsel, Les Peinture Du Monastére De Saint Antoine Près De La Mer Roug, Mifao, 1995.

الفن القبطي وتأثيره على الفنان المصري المعاصر..

ماجدة جرجس حنين - مرقس فارس بسطوروس

مقدمـــة:

اهتم الفنان القبطي بالموضوع أكثر من التركيز على الشكل والتفاصيل، وقد تكون دراسة الصورة وما بها من حقيقة أو رمز أكثر بلاغة وأعظم فائدة من الدرس الملقن بما يتضمنه محتوى الصورة الرمزية من رسالة تعليمية.

ففي الفترات التاريخية التي سادت فيها العقائد الدينية كان الفن يبتعد عن محاكاة الواقع فينأى عن التركيب المنطقي ويتجه إلى الابتكار والخلط والتحريف وينشد الأفكار المركبة والعميقة، مفضلاً أن يعطي لحقيقة الشيء هيئة أخرى.

التـــراث

التراث مصطلح يشير إلى حقبة تاريخية لها حضارة وفلسفة وفكر وفن وأدب، بمعنى أنه يمتد من الماضي بجذوره التاريخيه ويحتوي على ما سبق أن أنتجه الإنسان من أعمال وفنون وأدب بفروعه المختلفة عبر تلك العصور، أي أنها حقبة تأثرت بالعصور السابقة (أثرت فيها وتأثرت بها). وأنتجت بالتالي حضارة جديدة.

والتراث الذي نحن بصدده هو التراث القبطي الذي تزخر متاحفنا بالكثير من قطعه الفنية ووثائقه التاريخية، والفنان القبطي يأتي بإبداعاته من خلال بصيرة روحية نقية مستقيمة متسربلة بوسائط النعمة وعمل الروح القدس الساكن فيه ملتزمًا باللاهوت العقيدي والطقسي.

التراث القبطي:

يعرف ثروت عكاشـــة كلمة قبطي قائلا إنها ترجع في الأصل إلى معبد بتـــاح بمدينة منف وهو «حه - كا - بتاح». وانتقل هذا الاسم إلى الإغريقية فغدا «إيجيبتوس»، كما أسقط إلى العربية عن الإغريقية فأسقط أوله على أنه حرف

للتعريف مقابل «الـــ» كما أسقط آخره على أنه حرف إعراب وبقيت «جبت» التي أصبحت «قبط»، والتي غدت تدل على السكان أكثر مما تدل على البلد، وغدت بعد ذلك اسمًا مميزًا لمسيحيي مصر تميزهم عن غيرهم، وسميت اللغة تباعا باسم اللغة القبطية.

وكلمة قبط ينسب بها إلى كل ما للشعب المصري من دين وفن ولغة، ولذلك أطلقت كلمة قبطي على المصري المسيحي، ولذلك تم تعريف تاريخ الأقباط بأنه تاريخ المسيحية في مصر.

الفن القبطي

يصعب تحديد بدايات أي فن خاصة إذا تلا آخر؛ لأننا نجد أن بداياته متأثرة بما سبقه، وبالتالي يصعب تحديد سماته إلا في ضوء سمات ما سبقه، ويرى «ج. هـــ. كوستيجان» أنه قبل بداية المسيحية حدث انصهار بين الأساليب الهيلينية والمصرية القديمة نجم عنه ما يطلق عليه صناعة الفن الشعبي السكندري، وقد شكّل الأخير القاعدة العريضة التي قامت عليها أسس الفن القبطي.

الصفات والمميزات العامة للفن القبطي

امتد الفن القبطي منذ نشأته في القرن الثالث حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وقد كان من أهم مميزاته العامة أنه:

- فن ديني ومدني.
- فن شعبي قبطي.
- فن جمال لا ضخامة.
- فن متأثر بثقافة الحكام.

- فن نابع من البيئة المصرية.
- فن يستخدم الخطوط والأشكال الهندسية.
- فن يميل إلى الرمزية.
- فن يميل إلى الزينة والجمال.
- فن يميل إلى المنمنمات.
- فن ناتج لما سبقه من عدة فنون ومؤثرات فنية.
- لرسم الأشخاص سمات معينة، فالوجوه ذات عيون شاخصة، ونسب الجسم الخاصة ترسم حسب أهمية الشخصية في العمل وتبعا لمرتبتها ووضعها في الواقع.
- يعتمد الفن القبطي على تحديد الشكل بإطار من لون غامق، وهي ميزة أساسيه في ملامح وجوه الفن القبطي، مع استخدام درجات لونية توحي بقدسية خاصة ودلالة رمزية خاصة.

ولا بد من أن تتوافر لدى رسوم ورموز الفنان القبطي أربعة شروط وهي أن تكون أعماله:

- كتابية.
- لاهوتية.
- عقيدية.
- طقسية.

وغير ذلك إما أن يكون الفنان غير دارس أو يكون فنًا دخيلاً.

محاولات الفنانين في القرنين العشرين والحادي والعشرين:

لابد للفنان من أن يستلهم أعماله من التراث دون الوقوع في عملية تكراره لنفس الأسلوب المتبع من قبل، بل يبدع في استلهاماته ليكون صادقًا في إنتاجه الأصيل لأنه اعتمد في تناوله للتراث على مدخل تحويل جماليات التراث إلى جماليات خاصة به.

ومنهم من جمع بين دقة الأداء التشكيلي والتقني في أعماله، والتي تجمع في مضمونها بين مجالات الفن المختلفة كالنحت والتصوير والخزفة والتوليف بين الخامات.

وفي أحيان أخرى لا يقتصر تأثر الفنان بالنواحي الإبداعية المستمدة من عمق التراث، بل عمد إلى استخدام تقنيات وخامات تؤكد أسلوبه، فهو يصيغ أعماله بأسلوب حديث ولا يستخدم الألوان التقليدية المستعملة في التصوير، ولكن يحاول أن يتوصل إلى نوعية جديدة من خلال أكاسيد وألوان وأصباغ مختلفة يقوم الفنان بنفسه بتركيبها من المواد الخام، كما استخلص المصريون القدماء خاماتهم وألوانهم التي كان يستخدمونها في تسجيل أعمالهم الخالدة من صخور مدينة الأقصر.

فعندما نرى أعمال فنان ما نحس مباشرة بأنها مستوحاة شكلاً ومضمونًا من نوع معين من أنواع التراث مستلهمًا موضوعاته وأشكاله ورموزه وفق مدخل جمالي، استطاع أن يوظفه في إبداع أعمال تشكيلية معاصرة تحمل طابعا قوميا ظاهرا، وهنا يجب على الفنان أن يستفيد من التراث معتمدًا على مفهوم التحديث، فيبحث فيه عن الإمكانيات الجديدة التي تمده بحلول ابتكارية تثري أعماله ومحاولاته.

وقد حاول بعض الفنانين إحياء الفن القبطي كل بطريقته الخاصة؛ ولأن

ثقافة كل فنان تختلف عن الآخر فالبعض تأثر بالريف المصري، والبعض تأثر بالثقافات المختلفة والعصور والحقب السابقة كالفنون الفرعونية وغيرها.. إلخ. كما استخدم البعض في أعمالهم تقنيات متعددة مع إضافة خامات متنوعة على مسطح العمل الفني وكأنه يجمع في أعماله كل عبق التاريخ مع الأشكال المعاصرة للحياة اليومية الحالية في آن واحد، وهذا يعد مجالاً من مجالات التجريب بالخامات للوصول إلى عمل فني يحقق أهداف الفنان.

وأحيانًا يستخدم الفنان المتأثر بالتراث القبطي تقنيات قديمة مثل التصوير الشمعي وهي طريقة خلط الألوان بشمع العسل «الشمع الناتج من نحل العسل». وهي الطريقة التي قاومت عوامل الزمن عشرات القرون أو بتقنية التمبرا والتي يستخدم فيها الفنان الأكاسيد الطبيعية ويضيف إليها خليطا من صفار البيض وحامض الخليك، ويرسم بها على سطح من خامة الخشب الطبيعي مبطن ومحضر بواسطة خامات طبيعية فتبقى الألوان برونقها إلى أزمنة بعيدة متحدية لعوامل الزمن والطقس.

وسنتعرض هنا لاختيار بعض من نماذج أعمال الفنانين التشكيليين الذين استلهموا أعمالهم من التراث القبطي، ومن هؤلاء الفنانين الذين تأثروا بذلك الفن مرتبين ترتيبًا أبجديًا على سبيل المثال لا الحصر لكي نستطيع أن نستعرض التجارب الفعلية السابقة في هذا المجال وتظهر في أعمال فنانيها الصفة الظاهرة للاستلهام من التراث ومن هؤلاء الفنانين إيزاك فانوس، بدور لطيف ويوسف نصيف، جلال رمزي، جرجس لطفي، جمال لمعي، جورج بهجوري، مصطفى الرزاز، وغيرهم من الفنانين الحديثين الذين استلهموا موضوعاتهم من التراث القبطي.